



مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

الشيخ عبدالله بن علي الخليفي كلاسيكية متجددة

إعداد

د. سعيد الصقلاوي

الكويت

2015



مُنَاسِبَةُ جَازَةِ عَجْرَةِ الْعُرْنِ بِسُوءِ الْإِبْطَانِ الْإِسْرَافِ السَّعْدِ



التدقيق الطباعي

محمود إبراهيم البجالي

ريم محمود معروف

الصف والتنفيذ

أحمد متولي أحمد جاسم

علاء محمود

الإخراج وتصميم الغلاف

محمد العلي

حقوق الطبع محفوظة

هاتف: + ٩٦٥ ٢٢٤٣٠٥١٤

فاكس: + ٩٦٥ ٢٢٤٥٥٠٣٩

E-mail: kw@albabtainprize.org

التصدير

يعدُّ الشاعر عبدالله بن علي الخليلي (١٩٢٠ - ٢٠٠٠م) من كبار الشعراء الذين ظهوروا في سلطنة عمان في القرن العشرين حيث ترك بصمته الشعرية الخاصة به والتي ميزته عن كثير من الشعراء العمانيين المجاليلين له، حيث جعلته ينال مكانة مرموقة أساسها إبداعه الشعري الغزير والمتنوع، وصوره الشعرية المستمدة من التراث العربي العماني الأصيل، متمكناً من صياغتها بأسلوب رشيق سلس لا تعقيد فيه ولا نشاز غير متجاهل واقع عصره وأسلوب الحياة الحديثة..

كتب صاحبنا في الشعر الوطني والوجداني والاجتماعي، وله في المعارضات الشعرية والمراثي والموشحات والغزل الرقيق ووصف الطبيعة العمانية الخلابة بجبالها وسهولها ووديانها وبحرها، وكتب كذلك في الشعر القصصي الذي برع فيه كثير من الشعراء الكبار كشوقي ومطران كما برع في فن المقامات ومنها «المقامة الجعلانية» و«السَّمائيلة» و«السَّمدية» و«النزوية» وله مطارحات شعرية جرت وقائعها بينة وبين عدد من الشعراء المعاصرين له، كما نجد له في «الشعر المسرحي» حيث نظم مسرحية «جذيمة والملك» والتي تتم عن مقدرة في التحكم بأدواته الشعرية وتسخيرها لأغراضه وأسلوبه وموضوعاته..

ومن يقرأ في دواوينه الشعرية مثل «وحي العبقريّة» و«على ركاب الجمهور» سيجد له قصائد غاية في الروعة والجمال وهي على مستوى فني عالٍ.

ونحن في مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري وجرياً على ما دأبنا عليه في مهرجانات ربيع الشعر منذ العام ٢٠٠٨، من الاحتفاء بشاعرين عربيين أحدهما من الكويت والثاني من قطر عربي آخر؛ نحتفل هذا العام ٢٠١٥ في مهرجان

ربيع الشعر في موسمه الثامن بشاعر سلطنة عمان الشاعر الكبير عبدالله بن علي الخليلي، إذ نقيم ندوة شعرية وأدبية خاصة بالشاعر تتناول إبداعه ومسيرته الشعرية ومكانته الشعرية بين شعراء عصره، إضافة إلى إصدار كتابين عنه غاية في الأهمية إذ من خلالهما يتعرف القارئ العربي على أحد أعلام الشعر العربي في عمان في القرن العشرين.

وأحد هذين الكتابين هذا الكتاب الذي أعده الدكتور سعيد الصقلاوي مشكوراً وضمنه مختارات من الشعر غير المنشورة للشاعر (من ديوانه المخطوط «فارس الضاد»)، كما أنه يتضمن كثير من الاستقصاء والمعلومات عن إبداع الشاعر المتعدد الموضوعات والمضامين، إضافة إلى شهادات كتبها عدد من الكتّاب الذين لهم علاقة ما بالشاعر أو بإبداعه الشعري..

عزيزي القارئ..

نترك لك المجال لقراءة الكتاب وقراءة ما أتى به من مختارات شعرية .. راجين لك تحقيق الفائدة والمتعة الشعرية.. وآملين في مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري أن نكون باحتفائنا بهذا الشاعر الكبير قد أسهمنا في حدود استطاعتنا تقديم إضاءة عن الإبداع الشعري في عمان معبرين عن محبتنا الكبيرة للسلطنة بقيادتها الرشيدة وشعبها العربي الأبي وشعرائها الأفاضل.

والله ولي التوفيق،،،

عبدالعزیز سعود البابطين

الكويت في ١٦/٥/١٤٣٦هـ

الموافق ٧/٣/٢٠١٥م

الإهداء إلى:

الشاعر الشيخ عبدالله بن علي الخليلي مبدعاً كلاسيكياً متجدداً رحمه الله
والى آباء وأبناء الشعر.

معالي السيد محمد بن أحمد بن سعود البوسعيدي عالماً ومتقفاً كبيراً رحمه الله.
الشيخ علي بن جبر بن سعود الجبري شاعراً ومتقفاً رحمه الله.
الشيخ عبدالله بن صخر العامري شاعراً وإعلامياً وراعياً فنياً رحمه الله.

والى:

الأستاذ الدكتور محمد حسن عبدالله (شيخ النقاد هكذا يطيب لي أن أناديه)
ناقداً بديعاً وباحثاً فذاً وعالماً زاخراً بالمعرفة والحكمة والمحبة.
الدكتور أبو همام عبداللطيف عبدالحليم شاعراً مجيداً ودارساً عتيداً
وإنساناً ودوداً رحمه الله.

الأستاذ ناصر أبوعون كاتباً بديعاً ومتقفاً متوهجاً وطاقة خلاقة.
الشاعر عبدالرزاق الربيعي/ عشبة جلجامش وكاتباً ومسرحياً.

كلمات لا بدّ منها

أولى هذه الكلمات هي إزاء الشكر والتقدير لمؤسس هذه المؤسسة الرائدة وللقائمين عليها وللمتعاونين معها على جهودهم الخيرة. وثانيها أن هذه المؤسسة (مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري) ومنذ انطلاقتها وهي تعمل بجد لا نظير له وهمة عالية في خدمة الشعر العربي واللغة العربية والناطقين والكاتبين بها. وثالث هذه الكلمات هي أن هذه المؤسسة بما قامت به من مشاريع لتدريس اللغة العربية خارج الأوطان العربية وإقامة العلاقات والتواصل مع الشعوب وثقافاتها المختلفة تفتح أبواباً واسعة للثقافة وللشعر العربيين وللحضارة الإنسانية لأن تكون أرضها خضراء يانعة بالإنتاج الإبداعي وزاهرة بالتلاقي الفكري والتواصل الإنساني. وهي في سبيل تحقيق هذا الهدف النبيل أصدرت المعاجم الشعرية والتراجمات من المختارات الشعرية العربية. وأحيت الندوات الفكرية والأمسيات الشعرية والليالي الموسيقية. وكرمت الشعراء والمبدعين والمشتغلين بالنقد والتاريخ الشعري. دعاؤنا لها بالسداد والنجاح الدائم والله المعين.

بين يدي القارئ

يحتل الشاعر عبدالله الخليلي مكانة خاصة في نفوس العمانيين ووجدانهم، ويتباهون بشاعرهم الكبير في المحافل والمنتديات وفي الدراسات والبحوث. ويعتبرونه مثلاً شعرياً ضخماً ولذلك يطلقون عليه لقب (أمير البيان) كما أطلقوا على الشاعر العماني الكبير أبي مسلم البهلاني من قبل لقب (شاعر العرب)، ولعله حظي بهذا اللقب قبل الشاعر الكبير محمد الجواهري. يشاركهم هذا الإعجاب كُتّاب وشعراء عرب؛ في طليعتهم الدكتور أحمد درويش والدكتور علي عبدالخالق، والكاتب أحمد الجدع والشاعر الشيخ صقر بن سلطان القاسمي حاكم الشارقة السابق، والشاعر الشيخ أحمد الخليفة من البحرين وغيرهم كثير، فمنهم من تناول شعره بالقراءة والدراسة ومنهم من تحاور وتفكر معه، ومنهم من تطارح معه الأشعار والكلم الطيب.

لقد تلقيت بكل اعتزاز وشكر وتقدير دعوة مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري التي كلفتني أن أقوم بتقديم مختارات من شعر الشاعر العماني الكبير (أمير البيان) الشيخ عبدالله بن علي الخليلي. وبالرغم من أن الدعوة وصلتني متأخرة، أي في قت وموقف حرجين. لكنني فرحت بها لأنها دفعتني لأن أسهم في الوفاء لهذا الشيخ الجليل صاحب الإبداع الشعري المتميز.

وإزاء هذه المهمة الصعبة ووقتها الحرج كان لابد من التحرك بسرعة لإنجاز عمل ما؛ وتقديمه إلى المطابع حسب برنامج المؤسسة. ولذا فقد اتفقت مع ابنه الشاعر الشيخ محمد بن عبدالله الخليلي باعتباره الأكثر قرباً إلى أدب والده

وشعره باختيار باقة من شعرالشيخ عبدالله بن علي الخليلي؛ وحصرًا من ديوان مخطوط قلّده الشاعر نفسه عنوان (فارس الضاد). وهو ديوان ضخّم يضم بين دفتيه قصائد كثيرة. وهذه المختارات بالرغم من أنها مستلة من ديوان مخطوط لم يطبع ولم ينشر لا تعبر عن شمولية فكره وكمال إبداعه ولكن يمكن اعتبار هذه المختارات نماذج من وحي عبقريته ونافذة على شيء من جوانب عطائه الفكري، مضاءة بوحى النّهى، ولتتسع دائرة الرؤية وهي بمثابة مرآة تنعكس عليها مرآتي فلسفته الأخلاقية والحياتية.

وتعزيزًا لهذا الاتجاه، كان لابد من رفد هذه المختارات بشهادات قدمها بعض محبي الشيخ الشاعر من معاصريه ومرتادي مجلسه، ومن محاوريه وقارئيه، تسلط الضوء على جوانب إنسانية خاصة وفكرية وثقافية تعميمًا لفائدة القراءة والدراسة والبحث. ولذا فقد قمنا بترقيم هذه الشهادات ليسهل الإشارة والرجوع إليها، كما أننا وضعنا نسخها المصورة بتوقيع أصحابها لتعبر عن أصالتها كمصدر رئيس وارتضيناها ملحقًا بالدراسة.

لقد ارتأينا أن يحتوي الكتاب على مقدمة أعطيناها عنواناً هو «معالم من سيرة الشاعر» طفنا فيها على شيء من مرابع حياته، واتبعناه بثلاثة فصول. حمل الأول عنوان البيان الأدبي للشاعر عبدالله الخليلي، وهدفنا تقديم فكرة عامة حول إبداعه من خلال تناولنا لجانبه النثري ممثلًا في مقاماته، وكذلك تناولنا لطائفة من موضوعات شعره ومضامينه لكي يتعرف القارئ عليه أديبًا شاعرًا وإنسانًا باهرًا.

أما الفصل الثاني فقد خصصناه لباقة من مختارات شعره غير المنشور من ديوانه المخطوط «فارس الضاد». ويأتي الفصل الثالث ليرصد شهادات بعض ممن جاليله، ومجموعة من معاصريه، وآخرين ممن قرأه وكتب عنه وحاوره.

معالم من سيرة الشاعر

المقدمة

إن محاولة الكتابة عن العمل الإبداعي وخاصة ذلك الذي تكون معماره الكلمة - كالشعر- تكتنفها أمور بالغة الصعوبة تتصل بطبيعة العمل الإبداعي وبواعثه، وتتعلق بثقافة الكاتب وبيئته ومنهجه الذي ارتضاه. وترتبط بحاسية الناقد النفسية، والذوقية، وخاصة الوعي المرفود بأدوات علمية مساعدة تمكنه من النظر إلى ماهية العمل الإبداعي، وسبر مكنوناته، والتعرف على فنه وأصوله، ومن ثم فإن العمل الإبداعي لا بد أن ينظر إليه بمجهر المعرفة الحقة، والوعي المدرك، والنفس الخالصة المجردة. وذلك بغرض اكتناه أسرار الكلمة و«الوقوف على جانب من خصائصها الدقيقة ومحاولة تبين خيوط شبكة العلاقات بها والتعرف على بعض قوانينها»^(١).

إن كل هذا التعرف قد يساعد أيضاً على كشف جوانب من ملامح العمل الأدبي، وإضاءة «جوانب من أسرار تطوراته الماضية والآتية كما يفيد امتلاك الأدوات المساعدة ومحاولة استخدامها، في استشفاف الدلالات المتناثرة في جنبات العمل الأدبي، واستشراق بعض خطواته المستقبلية المحتملة»^(٢).

والمبدع حينما يتسنى له الشروع في عملية إبداع الجنس الأدبي، أو تتهيأ له ظروفها، فإنه يبذل جهداً كبيراً من المعاناة الذاتية والفكرية، حتى يتسنى لهذا العمل ولادة طبيعية، تمكنه من مصافحة النور. ومن ثم فإن توازناً نفسياً، وفكرياً

(١) د. أحمد درويش (١٩٩٣)، الكلمة والمجهر، ص ٥.

(٢) المرجع نفسه.

ينبغي أن تعمر به نفس الناقد قبل أن يدلف إلى عالم العمل الأدبي الذي بين يديه . ولذا فعليه أن يبذل جهداً موازياً - إن لم يكن أكبر قدر - للجهد الذي بذله المبدع سواء كان شاعراً أو كاتباً . وهذا الجهد المبذول ينبغي أن يتغلغل إلى أعمال العمل وأن يغوص بين موجاته لا أن يكتفي بالنظر إليه من على الساحل أو بالسباحة فوق سطحه . فلكل عمل حالته الخاصة المتصلة ببيئة المبدع والمنتج ، ولكل بيئة خصوصية تحتفظ بتفاصيلها وقسماتها ، كالبيئة العمانية ، وتتطور بحسب توافر أسباب التطور ، وتتلاقى مع غيرها ، وتتشابك بقدر ما تتوافر لديها من جسور التواصل ، وأدوات الاتصال الثقافي . فمن منظور البيئة الفاعلة بمعنى المؤثرة في المبدع نمد بصرنا وبصيرتنا إلى عالم الشيخ الشاعر والكاتب عبدالله بن علي الخليلي - باعتباره مبدعاً معاصراً ، ونلمس ملامح فكره في إنتاجه الغزير .

ولذا فإن هذه المختارات - على الرغم من إيجازها وقصرها في هذا العدد المحدد ، إلا أنها متنوعة المضامين ومختلفة الأساليب ومتعددة التقنيات ، تنظمها وحدة الرؤيا والتوجه والغاية ، وتسعى جاهدة إلى التعريف بالشيخ الشاعر ومكانته في نفوس الوطن والمواطنين العمانيين . وتسعى إلى إلقاء الضوء على إبداع شاعريته . وتتيح للقارئ فرصة التعرف عليه وتفتح نوافذ للتعرف على شعره ولغته وأسلوبه وفكره ومبادئه . وتسعى كذلك إلى التعريف بالبيئة الثقافية والاجتماعية والطوعية التي أحاطت الشاعر بمؤثراتها المختلفة ، ووجهت فكره ومنهجه ، وأسلوبه ، كما أنها تهتم بتسليط الضوء على جوانب من الملامح المعاصرة في إنتاج هذا الشيخ الجليل .

نشأته ومكانته

ينحدر الشيخ عبدالله بن علي من سلالة اتخذت العلم غاية ومطلباً ، وآمنت بالدين الإسلامي منهجاً ، وصدّقت بالعمل مبدأ . فهو من الناحية التاريخية والدينية والأدبية ينتمي إلى أسرة انحدر منها من تولى إمارة عمان ، كجده الصلت بن مالك

الخروصي، والخليل بن شاذان الذي تنسب إليه الأسرة الخليلية. وكان الشيخ سعيد ابن خلفان علامة عصره وإماماً دينياً شهد له علماء دهره، وأكدت ذلك مؤلفاته المختلفة، وكان أيضاً قاضياً للإمام عزان بن قيس البوسعيدي (١٨٦٩-١٨٧١م)، فضلاً عن أن جده الشيخ عبدالله بن سعيد كان بالإضافة إلى علمه الديني أديباً، شاعراً، وعمه الرضي الإمام محمد بن عبدالله كان إمام عمان في الفترة من عام (١٢٣٨هـ- حتى عام ١٣٥٣هـ). أما أبوه فكان زعيماً وذا حظوة لدى كل من سدة الإمامة بزعامة الإمام محمد بن عبدالله الخليلي وبلاط السلطان سعيد بن تيمور (١٩١٧-١٩٣٢م) رحمهما الله وكان من بين نساء أسرته العاملة الفقيهة والمصلحة شمساء الخليلي.

إذن في وسط هذه البيئة المحافظة وزخم هذا المناخ الثقافي الخاص ولد شاعرنا في سمائل عام ١٩٢٢م وهذا هو التاريخ الشائع، وفي مقابل ذلك تاريخ آخر يقول إنه ولد في منزل أسرته في بيت السبحية بعلاية سمائل وذلك في السابع من محرم عام ١٣٤١هـ الموافق ١٩٢٠م كما أخبرني ولده الشيخ محمد بن عبدالله الخليلي وتوفي في يوم الأحد ٣٠ يوليو عام ٢٠٠٠م. وفي مجال الحديث عن نسبه، فقد ذكر أخوه الشيخ سعود بن علي الخليلي أنه: «ينتمي إلى ثلاثة وعشرين إماماً من عشيرته من بينهم أربعة من خاصة آل بيت الخليل»^(١).

وقد اكتفى بذكر عدد الأئمة دونما الشروع في بيان التفاصيل أو تقديم معلومات يمكن أن تساعد القارئ في تلمس أثر موروث الرحلة الأسرية على الشاعر وإنتاجه.

إلا أن الشيخ سالم بن حمود السيابي يذكر في نفس الديوان (وحي العبقرية) نسب الشاعر بالتفصيل، حيث يقول: إن «عبدالله بن علي بن عبدالله بن سعيد

(١) سعود بن علي الخليلي (١٩٩٠)، في ديوان وحي العبقرية، ص ١٩

ابن خلفان بن أحمد بن صالح بن أحمد بن عامر بن ناصر بن عامر بن أب سالم بن أحمد الخليلي». يتصل نسبه إلى الإمام الخليل بن عبدالله بن عمر بن محمد بن الإمام الخليل بن العلامة شاذان بن الإمام الصلت بن مالك بن بلعرب الخروصي^(١). ثم يواصل تفصيل جزئيات النسب فيردف قائلاً: «إن جده أحمد ابن سعيد إمام العلم وشاعر الحقيقة، وناظم الأثر، وأما جده الشيخ الرئيس عبدالله ابن سعيد شاعر الركب العربي الحر»^(٢).

رحلة مسيرة نشأته لا تتوقف عند هذا الحد بل استمرت في التواصل منذ نعومة طفولته حينما أوكل به مؤدب خاص يقوم على تأديبه علمياً ودينياً قبل أن يحتضنه عمه الإمام محمد بن عبدالله الخليلي. ومما يذكره الشيخ سالم بن حمود السيابي في هذا المجال هو أن الشاعر «كان في صغره بعيداً عن والده»^(٣). وأنه أي والده قد «أوكله إلى أسرته الموجودة في سمائل»^(٤). وقد يكون لذلك أثر فاعل في انكباب الشاعر على التحصيل العلمي كي لا تشغله هموم التفكير بالوحدة إثر ابتعاد الوالد.

وما أن شبت مداركه وأصبح قادراً من الناحية النفسية ومهيئاً من الناحية العقلية على الاستزادة من منهل العلم ارتحل من سمائل إلى جوار عمه الإمام رضي الله عنه. وهناك- أي بجوار عمه، تدرج هذا الشاعر في مراحل العمرية من الطفولة إلى الشباب وتلقى صنوف العلوم الدينية كعلوم القرآن على المقرئ الحاذق زاهر بن مسعود الرحبي وعلوم العربية على يد أستاذها النحوي الكبير حمدان ابن خميس بن سالم اليوسفي، ثم يضيف أخوه الشيخ سعود: إنه من بين الذين قرأ عليهم الشيخ العلامة حمد بن عبيد شامس السيابي، قد كان يلقب بداهية

(١) المرجع نفسه.

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) المرجع نفسه.

العلماء وكذلك الشيخ العلامة سالم بن حمود بن شامس السيابي، قد كان قاضياً، وفقيهاً، وشاعراً، ومؤرخاً له عدة مؤلفات، أصدرت عدداً منها وزارة التراث القومي والثقافة لكن الشيخ سعود يضيف أن هذه الفئة من العلماء كانت تروي بالمعرفة مدارك الشاعر وهو خارج الحصن.^(١)

وهذا ما يدفعنا إلى استشفاف بأن داخل الحصن - حيث يقيم الإمام - كان هذا الشاعر أيضاً ينهل من معين علم عمه الإمام، ومن أرائه الخاصة في الحياة، والناس والدين، والعلم، ومن تجربته التي صبغتها حنكة السنين في التعامل مع بني البشر، والاهتمام بأفراحهم وأتراحهم فاكسب خبرة من إمامه علمته «كيف يجب أن يعمل، وكيف يجب أن يعيش»^(٢).

ويشير الشيخ سالم بن حمود السيابي إلى أثر الإمامة في رسم ملامح شخصية الشاعر وتكوين الأساس الثقافي لها وهو أساس مبني على مرتكزات دينية حيث يقول: «نشأ ابن أخيه هذا وليد الإمامة، ورضيع لبانها، متقلباً على أحضانها مستتيراً بدهاها، راشقاً من سلافها وحميّاها»^(٣)، ثم يؤكد على مرتكز آخر وهو الموروث الأدبي سواء كان ذلك موروثاً عمانياً، أو عربياً فيقول: «فلم يزل بين عالم، وإمام، وزعيم، وقد ارتسمت في وعيه صور الأدب وعلق في ذهنه شعر العرب»^(٤).

من هذا يتضح أنه بجانب الموروث الأسري الخاص «البيئة الخاصة» وما له من تاريخ طويل في مسيرة الحضارة العمانية، هناك موروثات ثقافية أخرى قد أثرت في تكوين لبنات فكره، وثقافته، ونظراته للحياة، وهي:

١- الموروث الديني الذي تشربه في طفولته الباكرة، وعمقه في صباه وشبابه على يد علماء ومشايخ عصره، فضلاً عن تواجده في حصن الإمامة وساحتها.

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

٢- وكذلك الموروث الأدبي العماني وما له من رحلة طويلة ابتداء بمالك بن فهم ووصولاً إلى مازن بن غضوبة، والخليل بن أحمد الفراهيدي، وابن دريد، ومروراً على آثار محمد بن سعيد القلهاتي، والستالي، والكيذاوي، وسليمان النبهاني، واللواح، وراشد بن خميس الحبسي، والمعولي، وابن رزيق، ونور الدين السالمي، وابن شيخان، وغيرهم من أعلام التراث العماني شعراً ونثراً، وتاريخاً، وفقهاً وفلسفة.

٣- وموروث الأدب العربي بمجاليه الواسع كان له تأثيره الخاص على إنتاج الشاعر في نماذجه المختلفة وأجناسه المتعددة منذ العصر الجاهلي، وحتى العصر الحديث، وابتداء بامرئ القيس مروراً بالمتنبي، وأبي فراس، ومقامات الهمداني، والحريري ووصولاً إلى البارودي، وأحمد شوقي، ومطران، واطلاً على إنتاج حركات التجديد كصلاح عبدالصبور، والسياب ونزار قباني وغيرهم في مسيرة الشعر العربي الحديث، ومن ثم الإفادة من أنماط هذه الحركة في الكتابة القصصية الشعرية وغيرها، وخاصة نموذج الشعر الحر أو ما يسمى بشعر التفعيلية.

وكما كان للبيئة الثقافية الأثر الكبير في رفق ثقافة الشاعر وتأصيل مكنوناتها. فإن البيئة الطبيعية كان لها إسهام في إثراء مخيلة الشاعر. تلك البيئة العمانية التي جسدتها مساحة الخضرة في شموخ النخيل المعانقة زرقة السماء والراقصة على حفيف النسيم، والهامسة إلى نغمات المياه المنسابة في مزامير الجداول والأفلاج، والمنشدة مع الطيور والعصافير لحن الحب والصفاء. وقد وصف الشيخ الشاعر ملامح هذه البيئة وذخائرها بقوله: «خرجت وبرفقتي عشرون راكباً من خيرة الرجال، وكانت المواصلات آنذاك بوسائل عادية، إذ لم يكن وجود للسيارات حين ذاك بعمان فنجد الماشي في الطريق، وصاحب الفرس، والبعير، والحمار منها: المعد للنقل ومنها المذلل للركوب، أما مطايانا فكانت من خيرة الإبل، إذ إنها خصصت للوازم الدولة، خرجنا بها نشق الوادي الخصيب من سمائل، وقد تفجر بينابيع الري، وعقدت الترع منه للبلاد وكان وسطه مفعماً بالماء العذب الذي

فضل عن حاجات البلد، وكانت أخفاف الإبل كأنما تقدح الحجر تارة وتطيش بالماء أخرى، جامعة بذلك بين ضدين لا يعيشان مجتمعين: الماء والنار. فقلنا: «يا نار كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم»^(١). ومنذ ذلك اليوم بدا لي أن أقول الشعر وأنا أنظر إلى الماء المنساب، وإلى القسم الآخر المتحجر في صحن الأودية وقد انعكست به زرقة السماء، وخضرة الشجر»^(٢).

هذا هو مجال البيئة التي يتحرك في محيطها كل من الشاعر والمتلقي، فهي بيئة ولدت فيها شاعرية الشاعر على أنغام إيقاع حركات الخيول، والجمال، وأنغام حسيس المياه المنسابة في بطن الوادي، وألوان الخضرة والسماء المنعكسة على صحن الماء في أحضان وادي سمائل. مشاهد من عصور غابرة في زمن معاصر. كأن الزمان والمكان كانا ثابتين لم يتغيرا. في حين أن الزمان والمكان في حواضر عربية أخرى كمصر والعراق والشام كانا في حركة متغيرة، فلا غرابة إذا لم يدرك كل من البارودي، ومطران، وشوقي، والزهاوي، والرصافي، واليازجي نفس المشاهد أو بنفس القدر من الدقة. ورغم ذلك ظل أثر البيئة العربية بشخصها القديمة، ماثلاً في أشعارهم. ويرى الدكتور أحمد درويش أن مفهوم الشعر ودور الشاعر، «ومجال حركته، وصلته بالتراث السابق عليه، وصلته كذلك بالمتلقين من حوله»، ظل متأثرًا بذلك المناخ ومرتبطًا به^(٣).

وبقدر ما كانت مظاهر البيئة الطبيعية في عمان فطرية لم تلامسها يد التغيير، والتبديل كذلك كانت مظاهر البيئة الاجتماعية، بما توافر فيها من قيم ومعايير ومفاهيم، وعادات، وتقاليد اجتماعية تتوازي معها وتتجاوب من خلالها

(١) الآية ٦٩ من سورة الأنبياء.

(٢) عبدالله بن علي الخليلي (١٩٩٠)، ديوان وحي العبقريّة، ط٢، مسقط، ص ٢١.

(٣) د. أحمد درويش، مظاهر معاصرة الجيلين في شعر الشيخ عبدالله بن علي الخليلي، في إصدار المنتدى الأدبي، مسقط (١٩٩١).

مع إبداع المبدع، شعره ونثره، لذا نرى كثيراً من نتاج الشاعر متأثراً ببيئته وتراثه المحلي والعربي، وحاملاً لملامح من مبادئ الإسلام الحنيف. فالتزم نتاجه الحشمة في تناوله الموضوعات والمضامين المختلفة، مع اتسامه بالجرأة في طرح القضايا المتصلة ببيئته ومجتمعه^(١).

والشيخ الشاعر بالرغم من ذيوخ شهرته، وبراعته وهمته العالية وفصاحة بيانه في شعره ونثره، إلا أن قسمات شخصيته قد ختمتها البيئة العمانية بخاتم البساطة والتواضع الجم، وأذكت فيها روح النوايا الصادقة التي تأخذ بمكارم الأخلاق ومعالي الأمور، وقد تنبه إلى هذه الميزة في شخصيته الدكتور أبوهمام عبداللطيف عبدالحليم حيث وصفه بأنه «من شيخة شعراء عمان، ومن أكبرهم قدراً، يذكر قارئه بشيوخ المحافظين في مصر والوطن العربي، لسعة ميدانه وحضور جنانه»^(٢)، كما يضيف بأنه «من جيل يدرك جيداً ذخائر التراث العربي، حفظه وفقهه، وتوفر عليه درساً ووعياً»^(٣).

الشاعر عبدالله بن علي الخليلي بعيونهم:

كتب سماحة الشيخ العلامة أحمد الخليلي مفتي السلطنة في مخطوطة ديوان فارس الضاد لشاعرنا المذكور «فإن من المسلم له ممن حاز في حلبة الشعر قصبات السبق بين شعراء عصرنا شاعر عمان الكبير الشيخ العبقري عبدالله ابن علي الخليلي الذي برز أقرانه بقريظه المتميز بجزالة تركيبه، ورصانة ألفاظه، وبلاغة معانيه، وسعة خياله. وقد طرق معظم أغراض الشعر من حكمة وسلوك ووعظ ومديح واستنهاض وفخر ونسيب ورثاء، فكان فيها جميعاً رامياً أصاب المرمى، وفارساً يجري ولا يجري معه، تجد كيف تنقاد له الألفاظ حتى يستنزل

(١) د. الطاهر مكي، المقامة والقصة في أدب الشيخ عبدالله بن علي الخليلي، في إصدار المنتدى الادبي (١٩٩١)، ص ٣٢١

(٢) د. أحمد درويش (١٩٩٣)، الكلمة والمجهر، ص ٥.

(٣) د. أبوهمام عبداللطيف عبدالحليم، في الشعر العماني المعاصر، ص ١٢.

أعصمها من مستعصمه، وتنساق إليه المعاني كأنما وضعت نواصيها بيده ففروضها بمهارته حتى عاد نفورها أليفاً وشرودها ذلولاً.

وقد نشأ من هذا التناسب في شعر شاعرنا بين مبانيه ومعانيه انسجام يأسر الألباب، ويأخذ بمجامع القلوب، بحيث تراه يسيل رقة، ويروق رونقاً، ويجري عذوبة مع تدفقه بفيض من المعاني البليغة^(١).

وكتب الشيخ سليمان بن خلف الخروصي وهو شاعر أديب مؤرخ واسع الشهرة في عمان ومن مجالبي شاعرنا في مخطوطة ديوان فارس الضاد للشاعر الشيخ عبدالله الخليلي يقول: «وفي هذه الصفحات من الديوان (فارس الضاد) يطلع القارئ على شعر رائع، وأدب بارع، وحكم باهرة، وأمثال سائرة، وتوحيد وتحميد وتقديس وتمجيد، وتضرع وابتهاال لله ذي الجلال، وعقيدة وجهاد، ونصائح وإرشاد، وسلوك وتصوف، وفخر وحماسة، واستنهاض همم وسياسة، وشذرات قومية، ومطارحات أدبية، وقصص وعبر، والديوان كله من أوله إلى آخره درر، والله يؤتي الحكمة من يشاء،» (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً)^(٢).

وأضاف في تقديمه لديوان الشاعر (بين الفقه والأدب) مشيداً به وبشعره وبصدق له لوطنه» فهو من أبرع شعراء عمان استعارة وتشبيهاً ووصفاً، والخليلي محب لبلاده، صادق الوطنية، جم العطاء، غزير الإنتاج، يؤمن بأن لقادة الفكر رسالة إنسانية^(٣).

ووصفه الشيخ الفقيه والأديب محمد بن راشد الخصيبي بأنه «شاعر العصر المشهور والمشار إليه بالبنان في كل مكان، تعلم العلم في بلده سمائل وغلب عليه حب الأدب والشعر فنبغ فيه ومهر واشتهر، وجاء بأساليبه القديمة والحديثة فكثر

(١) كلمة سماحة الشيخ أحمد الخليلي في ديوان فارس الضاد مخطوط.

(٢) كلمة الشيخ سليمان بن خلف الخروصي في ديوان فارس الضاد.

(٣) عبدالله بن علي الخليلي (١٩٨٨)، تقديم الشيخ سليمان بن خلف الخروصي في ديوان بين الفقه والأدب، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط.

شعره وانتشر ودون ولا يزال حليف المعرفة وسمير الآداب ولم يفته نصيبه من علم الفقه، وأما علم الأدب فحدث عن البحر ولا حرج، وله شمائل حسنة وأخلاق وكرم وإحسان»^(١).

ويطالعنا الشاعر والفقيه الأديب الشيخ مهنا بن خلفان بن عثمان الخروصي في شغف الحديث وبهجته عن الشيخ عبدالله الخليلي الشاعر والأديب فيقول: «تتجلى شاعرية شاعر البيان الشيخ الجليل عبدالله بن علي الخليلي، الذي ترعرع في أحضان دوحة الأدب المجيد، وتدرع بسرابيل الحمد والمجد في ربوع وطنه السعيد، ولا بدع إن كانت نشأته على تراب أرض عمان، فكم أنبتت في مصافيحها أبطالاً من أساطين المعرفة والعلم الحميد، ولا غرو أن فاق أقرانه في ميادين الأدب المفيد، حيث استطاع أن يبرز بأصناف البلاغة في أطوار أشعاره وآثاره نظماً ونثراً، وتجلت عبقریات محاسن أوصافه جماناً ودرّاً، فتألفت في سماء الجد والمجد فكراً وقدراً، وقد نسجت أقلام معارفه زروداً من البلاغة الرائعة ومخرت سفن أرومته خضم لغة الضاد بعد أن ظلت ضائعة، والتقطت من أصداف درره جواهر الشعر والحكم، وسرت به يعمالات الهوج في بيداء المعرف اللامعة بين الأمم»^(٢).

ويشير الكاتب والأديب أحمد الفلاحي إلى مكانة الشيخ الخليلي الشعرية، إذ يعتبره شاعر عمان الأول وكذلك يدعوه، وهو يشيد بمحاولات الشيخ الخليلي المستمرة في تغيير أبيات قصيدته وتنقيحها مُكبِّراً ومجلاً هذا الصنيع الذي لا يتأتى إلا من شاعر فحل كبير بقامة الخليلي فيقول إن الشيخ عبدالله بن علي الخليلي كان الشاعر الأول في عمان على مدى ما يقرب من نصف قرن، وكان ذا ملكة شعرية متميزة ينساب الشعر من ذاته انسياب الماء من السحاب ولكنه لا

(١) فضيلة الشيخ محمد بن راشد الخصيبي (١٩٨٩)، شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان، ج ١، ط ٢، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، ص ٢٥٣.

(٢) الفقيه الشيخ مهنا بن خلفان بن عثمان الخروصي، شهادة رقم ١ ص ١٥٣.

يترك قصيدته كما أفرزتها الموهبة وإنما يجتهد في تنقيحها وإصلاحها وتهذيب لغتها وصورها وتنسيق جملتها ويظل لفترة يعاود النظر فيها يغير ويبدل ويحذف ويضيف إلى أن يراها قد استقامت واكتمل بنيانها حينذاك يطلقها ليراها الناس ويقرأونها وهو راض عنها.

وكانت ثقافته الشعرية واسعة محيطية بالكثير من قصائد الشعر العربي منذ ما قبل الإسلام وحتى العصر الذي كان هو فيه. وكذلك كانت ثقافته اللغوية والنحوية عالية المستوى لم يكد يفته شيء من علوم البيان وفنونه، وهذا هو الذي حمى شعره من الأخطاء وعصمه من الزلل وكانت جملته الشعرية رصينة قوية.... «الشيخ عبدالله بن علي الخليلي كان الشاعر الأول في عمان على مدى ما يقرب من نصف قرن وكان ذا ملكة شعرية متميزة ينساب الشعر من ذاته انسياب الماء من السحاب ولكنه لا يترك قصيدته كما أفرزتها الموهبة وإنما يجتهد في تنقيحها وإصلاحها وتهذيب لغتها يحضره الشعراء وهواة الأدب من القائلين والسامعين وكان لذلك المجلس إسهامه في إثراء الساحة الأدبية العمانية وتنشيطها حيث كانت تلقى فيه القصائد ويتم نقدها والتحاور حولها إضافة إلى الجوانب الأدبية الأخرى...»^(١).

وتناول الشيخ صالح بن علي الحميدي الصفات الإنسانية والاجتماعية وحب الشيخ الخليلي للشعر وتشجيعه للشعراء واصفاً ما يدور في مجلسه بمشاعره الخاصة نحوه «فإن الشيخ بمثابة الأب الروحي الذي يربي النفوس، كله مدرسة، كلامه، وجلوسه، وطريقة تعامله مع جلسائه، وتم إنشاء الصالون الأدبي في كل أسبوع يوم الثلاثاء، يحضر هذا المجلس العلماء، والقضاة، والأدباء، والشعراء، كما تعود أن يغشى مائدته الأغنياء والفقراء.... كما إنني أذكر للشيخ بعض الذكريات فهي حاضرة في النفس، فهو يجلس على كرسي معهود في ذلك المجلس، وأمامه

(١) الشيخ أحمد الفلاح، شهادة رقم ٢ ص ١٥٥.

طاولة صغيرة يضع فوقها الأقلام بعدة ألوان، ويتفحص قصائده، ويتعهدا بيتاً بيتاً مثل الذي يتعهد الشجرة المثمرة؛ فإن رأى كلمة أو بيتاً لا يروق له امتدت يده إلى المزيل الأبيض وأخذ يباشر ذلك بنفسه»^(١).

ويتحدث الشيخ الأديب والإعلامي سالم بن محمد العبري عن بواكير معرفته بالشيخ الخليلي الذي كانت تصلهم أشعاره ومن ثم يتم تداولها في المجالس وتدرسيها للطلاب الذين كانوا يدرسون في كتاتيب حاضرة الحمراء بداخلية عمان قائلاً: «كانت معرفتي بشعر الخليلي عبدالله مع بداية تعلمنا للغة العربية على يد والدي رحمة الله، مع مطلع ثمانينات القرن الهجري الماضي، وحيث إن الحواضر العمانية تتبادل الإنتاج العلمي من فقه وشعر وتاريخ، وكانت الحمراء كسمائل، وكانت المرجعية العلمية قد انتقلت إلى العلامة الشيخ ابراهيم بن سعيد بن محسن العبري فتأتي إليه الوفود للفتوى والقضاء وترسل إليه المراسلات والخطابات النثرية والشعرية تواصلاً أو سؤالاً أو استيضاحاً، وكان لرجال سماء سبق سواء من الشيخ الشاعر عبدالله الخليلي أو من الشيخ خلفان بن جميل السيابي ثم من بعض المتعلمين معه كالقاضي حميد بن عبدالله (أبو سرور) وعلي بن جبر الجبري، وكانت أجوبة العلامة العبري للأسئلة الفقهية أو اللغوية ترسل إلى المدن والحواضر والمدارس العمانية فتداول وتشيع بين الناس والمتعلمين والرواة، وهكذا كانت تصل أشعار الخليلي وأجوبة السيابي وأمثالهم إلى الحمراء فتقرأ في مجالس الأباء ببيت العلامة أو مجلس الخطبة الصيفي، أو المجالس العامة كسبلة الصلف ومسجدها»^(٢).

تنوه الشاعرة والناقدة الدكتورة سعيدة بنت خاطر الفارسي إلى شذرات أدركتها في شخصية الشاعر الشيخ عبدالله الخليلي وتشير إلى ملامح وعتها في

(١) (فضيلة الشيخ صالح الحميدي، شهادة رقم ٨ ص ١٨٤).

(٢) (الشيخ سالم بن محمد العبري، شهادة رقم ٣ ص ١٦٣).

ثقافته التي كانت الحاضنة البيئية تحضر فيها بقوة خصائصها وسماتها، كما أنها تكبر فيه الصفات الإنسانية التي تفيض بالرعاية الأبوية مجملة القول بأن «الشيخ عبدالله بن علي الخليلي هو شيخ جليل، ورث الشعر من عدة فروع، فتأصل فيه وأورق، لم يكن فارق العمر بيني وبينه يسمح لنا بعلاقة مزاملة، فهو من جيل ومن مدرسة ومن منطلق مختلف، وهو ينتمي بامتياز إلى المدرسة الكلاسيكية ذات الأطر الصارمة في المحافظة على الموروث، وهيكلية بناء القصيدة العمودية..

وهو تربية بيئة صارمة أيضاً في أصولياتها، وأسرة تقبض بيدها على الزعامة الدينية ذات الصبغة السياسية، ولقد ألقى كل هذا على شعره ظلالاً واضحة لم يستطع منها فكاكاً.

كل هذا فإن الرجل كان من ذلك الجيل المثقف المحب للشعر والأدب والتاريخ، وهو جيل كان يقف مشجعاً ومسانداً للمرأة المتميزة علمياً وأدبياً، وكانت ذكرياتي معه ومع أبناء جيله إيجابية دافعة ومشجعة... وعندما أهديته ديواني الأول (مدّ في بحر الأعماق) وهو أول ديوان شعري عماني نسائي مطبوع - قال لي: تنبأت منذ أن استمعتُ إليك أول مرة، أنك ستكونين خنساء عمان، فلا تتراجعي، كانت كلماته لها فعل السحر في النفس، وعجبتُ كيف لرجل في مثل سنه وفي مكانته الدينية، أن يوافق على مشاركة شابة صغيرة بمفردها بين عشرات الرجال في الأمسيات الشعرية والثقافية»^(١).

ولقربه المتميز من الشاعر الشيخ عبدالله الخليلي فإن الشاعر والأديب والصحفي محمد بن سليمان الحضرمي يطيب له أن يدعوه (شيخ القصيدة العمانية) وهو لقب آخر يضاف إلى الألقاب الأخرى التي نعت بها الشاعر وكان

(١) د. سعيدة بنت خاطر الفارسي، شهادة رقم ٤، ص ١٦٨.

أشهرها لقب (أمير البيان) إذ يذكر أن الشيخ سليمان بن خلف الخروصي هو الذي دعاه بهذا اللقب، كما حدثنا ولده الشيخ محمد بن عبدالله الخليلي. والأديب الشاعر محمد بن سليمان الحضرمي يعتبر الشيخ عبدالله بن علي الخليلي هو المثال الشعري المتفرد بذاته فإنه حين يتحدث عنه فإن لغة الحب تتبع من وجدانه، ومشاعره الجياشة تسبق لسانه، ويرى أن «موهبته الأصيلة نمت وترعرعت في هذه الأرض الخصبة، حتى أصبح ظاهرة لغوية، وهو شيخ القصيدة العمانية خلال النصف الأخير من القرن العشرين بلا منازع، وليس في هذا مبالغة أو إطراء، قصيدته جامعة لجمع من اللطائف البلاغية بمعانيها، وتمتاز بانفراد لغوي وسحر بياني، من الإلهام المقذوف في لب الشاعر، والاستلهام الذي يوشى به قصيدته، عشقٌ يتجلّى في لغةٍ ناصعة، ليس فيها حشو ولا مفردات ركيكة.

لقد عرفت الشاعر الكبير عبدالله الخليلي عن قرب، وحسبي أنني أفخر بتلك المعزة التي يكنّها لي، كان يعدّني أحد أبنائه وكل الكتّاب الشباب والشعراء هم أبنائه حقيقة، كنت أحد المقربين من الشيخ، وأحب شعره كثيراً، وقد قرأت في مطلع حياتي الأدبية ديوانه المعروف «وحي العبقريّة».

ولا ريب أن الشاعر عبدالله الخليلي قامة شعرية عملاقة، تناولت قانات أخرى عرفها الأدب العربي، من أمثال أحمد شوقي، و خليل مطران، وأمين نخلة، وبدوي الجبل وغيرهم، وكان يعجبه أن يُقرأ عليه شعره، واكتشفت بعد ذلك أنه يحلو له تغيير كلمات قصائده حين تقرأ عليه، فكثيراً ما كنت أقرأ عليه في جلساتي معه خلال الفترة الصباحية... هذا دأب هذا الشاعر الكبير، حبُّ جم للشعر، وإخلاص متناهٍ، وعشق حقيقي للقصيدة، وقد يصل الليل بالنهار من أجل أن يكتب قصيدة تعبر عن مكنونات وجدانه وخلجات فكره، لقد كشف أكثر من مرة أنه يعيش مع الشعر ليل نهار ولا يفارقه»^(١).

(١) محمد بن سليمان الحضرمي، شهادة رقم ٩، ص ١٨٨.

أما الشاعر والكاتب الصحفي عبدالرزاق الربيعي ومن واقع انخراطه في الساحة الثقافية العمانية وتفاعله فيها على مدى عقود ومعرفته بقيمة الشيخ الشاعر الأدبية ومكانته الاجتماعية واطلاعه على المنجز الشعري للشاعر يرى أن «لبعض القامات الشعرية الكلاسيكية هيبة، تشبه الهيبة التي يحتلها الجواهري في الشعرية العراقية، ومحمود سامي البارودي في مصر، وبدوي الجبل في سوريا، وعرار في الأردن، ومفدي زكريا في الجزائر، وإبراهيم طوقان في فلسطين، وأبوالقاسم الشابي في تونس، وقد وجدت للشاعر الشيخ أمير البيان عبدالله الخليلي» ١٩٢٢-٢٠٠٠ «هيبة في الشعرية العمانية، لا ينافيها غيرها سوى شيخه الشاعر أبو مسلم البهلاني» ١٨٦٠ - ١٩٢٠ الذي بدأ به الشعر العماني الكلاسيكي الجديد، فواصل السير، وفق النهج الذي اختطه شيخه الذي تجاوز الأغراض التقليدية السائدة التي تغلب عليها الموضوعات الفقهية، والتعليمية، تلك التي تتسج ضمن قوالب بلاغية تقليدية جعلت الشعر يدور في فلك الموروثات الشعرية، وهو نهج ليس من السهل الاقتداء به، لشاعر نشأ في بيئة شعرية تقليدية، محافظة، تنوء بثقل موروثات، وصيغ جاهزة، هذا النهج يحتاج إلى شاعر يتسلح بجسارة، وموهبة فذة، وقدرة على التخطي، والتجاوز، وقد توفرت هذه لدى الخليلي، رغم أنه لم يخرج تمامًا على سطوة النص الشعري التقليدي، غير أنه بالوقت نفسه لم يقع أسيرًا لها، فأفلت من هيمنتها، بل خرج حتى على نظام البيت التقليدي المتوارث، فاستفاد من التقنيات الأسلوبية لقصيدة «التفعيلة» بديوانه «على ركاب الجمهور» لكسر القوالب الكلاسيكية الجامدة، وفتح نوافذ نصّه على هواء يسبح في فضاءات تتيح له التعبير عن خلجات الذات، بلغة حديثة، وصور نابضة بالحياة، لا تنهل من معين الذاكرة الا ضمن حدود معينة تملئها الضرورات التي تواجه كل شاعر يسعى إلى الإنطلاق من ثقل القوالب التي تكبل نصّه»^(١).

(١) عبدالرزاق الربيعي، شهادة رقم ٥ ص ١٧١.

وفي مقالة (خواطر وذكريات معه هكذا تحدث الخليلي) يقول الإعلامي عبدالوهاب قتاية: «واستقبلني الشيخ في بيته بمودة وسرعان ما وجدتني في حالة توافق حميم كأننا أصدقاء من قديم. كنت أراه شيخاً نبيلاً، تكسوه هالة قوية في مزيج من المهابة والبهاء والطيبة والوداعة، والفطرة والسماحة ورحابة الفكر والجلال. وقد لفت نظري، وأسرنى إيمانه بقيمة الكلمة، واعتزازه بالشعر، إبداعاً ورسالة ومسئولية، الأمر الذي جعله حساس الضمير، شديد التدقيق فيما يقول^(١)».

تروي الكاتبة منى بنت حبراس السليمية: وهو الشاعر الذي كان يحظى باستحسان الشاعر الشيخ عبدالله الخليلي وكان ينوبه أن يقرأ شعره في المحافل الثقافية التي كان يدعى لها الشيخ، وتروي شيئاً من العلاقة الإنسانية الخاصة والحميمية بين التلميذ وأستاذه في صور شتى من بينها الزيارات المتبادلة وحرص التلميذ على حضور مجلس أستاذه الشيخ الشاعر، وكذلك المطارحات والمساجلات والمراسلات الثقافية والشعرية التي كانت جارية بينهما. فتذكر منى: «لقد كان تأثير الشيخ عبدالله الخليلي في مسيرة والدي الشعرية تأثيراً خاصاً، بل أحسب أنه بلغ من العمق مبلغاً كبيراً، تجاوز حدود العلاقة الشعرية إلى علاقة إنسانية نبيلة، فقد كان مجلس الشيخ الخليلي الأسبوعي موعداً يحرص والدي على حضوره، ولا يكاد يتخلف عنه إلا لسبب قاهر... وقد وثق والدي كثيراً مما كان يدور في مجلس الشيخ الخليلي في قصائد شعرية، تكشف كثيراً مما كان يدور في مجلسه العامر بالرواد والمريدين... ومما أذكره كذلك، مرور الشيخ الخليلي على والدي بسيارته... وكان الشيخ يومها مشغول البال بقصيدة تلح على قريحته، فخرجنا في السيارة... يجوبان أنحاء سمائل، يملئ الشيخ قصيدته على والدي ما طال بهما الوقت، ولم تعد السيارة بهما إلا والقصيدة قد اكتملت^(٢)».

(١) عبدالوهاب قتاية، خواطر وذكريات معه هكذا تحدث الخليلي، مقال منشور.

(٢) منى بنت حبراس السليمية شهادة رقم ٦، ص ١٧٥.

وتحدث عنه الكاتب والأديب الصحفي ناصر أبوعون عارضاً رؤيته الخاصة حول إنتاج الشاعر الشيخ عبدالله الخليلي في قوله: «أما عن أمير البيان الشاعر عبدالله الخليلي فقد قرأتُ شعره وطالعتُ شيئاً من سيرته من مجالسة العديد من شعراء وأدباء عمان وخاصةً الذين آمنوا بالماضي التليد، وتحصنوا بترائنا العتيد، وأبقوا على شعرة معاوية، وحفظوا الصلة بينهم، وبين أجدادنا العظام، ومنهم ثلة يزنون الكلام بموازين الذهب والأحجار الكريمة، ويرون في التواصل مع تاريخنا العربي القديم صلة رحم، وأصالة فطرية، واتصالاً بالإبداع، ونجوا من مرضٍ عضال ضرب جذور ثقافتنا صدّرته إلينا (النخبة النكبة) ممن تمسحوا بالتجديد وادّعوا الحداثة، وروّجوا لنظرية (قتل الأب)».

عرفتُ عبدالله الخليلي شاعراً فطرياً تمكّنت منه صنعة الشعر فخيرها، وراح يزن كلماته على منوالها، ويدبج صورها على مقاييسها، ويصوغ حروفه على ميزانها، يداعب أصدقاءه شعراً، ويمزج جلساءه رَجْزاً، ويحاور رفقاءه قافيةً وعروضاً، ويسامرُ أبناءه فنّاً، ويكتب رأيه وفِقْهَه قصائدَ تترى تؤرخ لسلطنة عُمان (تاريخاً وفكراً)، ويسجّل أفكاره على مثال القدماء، ويعارض شعراء العصور الإسلامية وما قبلها حرفاً وقافيةً، وينسج على عيون الشعر العربي ملاحم تفتن القارئ وتأخذه إلى الشعرية المسبوكة على قوالب خاصة. وفي هذا الفن نجح الخليل في تخميس «بردة البوصيري» بثلاثة أوجه، وضمّها في ديوان متكامل أسماه «المجتليات»، وهو عمل فريد في تخميسه لهذه القصيدة الطويلة، كما حاول تخميس «همزية البوصيري» ولكنه لم ينجزها، بسبب مصارعته للمرض.

وفي مراسلاته الشعرية خير مثال على ما قدّمنا فقد كان يتخذ من الشعر وسيلة لمراسلة العلماء والشعراء، وقد راسل عدداً من الأعلام العرب كعز الدين التتوخي، وله ديوان «بين الفقه والأدب» يحوي قصائد فيها أسئلة وأجوبة بين الشاعر وغيره، ومن قصائده (سؤال للشيخ حمد السليمي) الذي بادره بالجواب

بقصيدة تجاري سؤاله، وقصيدة (هبة العليم) التي قرّض فيها كتباً أربعة لشيخه خلفان بن جميل السيابي وهي (سلك الدر، وفصول الأصول، وبهجة المجالس).

وإذا كان لكل شاعر سمة يتفرد بها على أقران عصره فإن الشاعر عبدالله الخليلي (١٩٢٢ - ٢٠٠٠م) الذي عاش حياة حافلة بالشعر والأدب والفلسفة والتتبع الثقافي فالتسعت مداركه ومواهبه واتسعت دائرة إبداعه. له من وجهة نظري السبق التاريخي في ريادة الشعر المسرحي في سلطنة عُمان، حيث قدم مسرحية (جذيمة الملك) التي استقى أحداثها من عصر ما قبل الإسلام مستغلاً معرفته بالسرد القصصي^(١).

المنجز الشعري والفكري للشيخ عبدالله بن علي الخليلي

خلف الشاعر الشيخ عبدالله بن علي الخليلي إرثاً ثقافياً وفكرياً أدبياً زاخراً ومتنوعاً في حجمه وكمه ونوعه. توزع بين الشعر والنثر. ومنه ما هو لا يزال مخطوطاً ومنه ما هو مطبوع. ومن المجموعات المخطوطة:

الديوان الأول هو ديوان «فارس الضاد»: وهو ديوان ضخّم قيد الدراسة والإعداد والتحقيق، يضم قصائد كثيرة، يقارب عددها زهاء مئتين. تشمل مضامينها وموضوعاتها على الوطنية والإنسانيات الذاتية والعامة والدينيات من ابتهاج وتصوف. وتنظم في شكلين رئيسيين هما العمودي التقليدي والموشحات. وقد اختيرت منه هذه الطائفة من القصائد المقدمة في هذا الكتاب.

والديوان الثاني هو «أوج البردة»: وهو عبارة عن ثلاثة أشكال من التخميسات لقصيدة البردة للبصيري، إذ كان الشاعر شديد الإعجاب والافتتان بها، وهي بلا شك قد عارضها كبار شعراء العربية.

و الديوان الثالث هو «الوحدة»: يعكس رؤية الشاعر وغايته نحو وحدة الشعب مستفيداً من أسلوب الاستهزاء لأبناء عمان وأبناء دول مجلس التعاون وقادتهم وأعلامهم لبلوغ الأهداف والغايات.

(١) ناصر ابوعون شهادة رقم ٧، ص ١٧٩.

والديوان الرابع هو «الخيال الزاخر»: يحتوي عددًا من القصائد المتنوعة ولكنها تنتظم جميعها في سلكه القيمي الذي مثل المظلة التي تستظل تحتها رؤيته الفكرية. والعمل الخامس هو «سجلات الأدب»: يضم بين دفتيه أجزاء ثلاثة: يحتوي الأول على مقامات الشيخ عبدالله، ويحتوي الجزء الثاني على القصص والنوادر، ويضم الجزء الثالث قصة طويلة.

أما الديوان السادس فهو «الخيال الوافر»: وهو عبارة عن تجميع لميراث آبائه الشعري والأدبي وفي طليعتهم شعر جده الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي وشعر جده الشيخ أحمد بن سعيد بن خلفان الخليلي ثم طائفة وافرة من قصائد الشاعر نفسه.

وفي المقابل هناك أعمال للشيخ الشاعر مطبوعة ومنشورة ومتداولة منها: من نافذة الحياة (مجموعة شعرية)، وعلى ركاب الجمهور (مجموعة شعرية في عام ١٩٨٨م)، وبين الحقيقة والخيال (شعر قصصي في عام ١٩٩٠م)، وبين الفقه والأدب (شعر علمي في مجال الفقه والفكر عبارة عن أسئلة وأجوبة في عام ١٩٨٨م)، وحي النهر (مجموعة شعرية في عام ١٩٩٠م) ثم وحي العبقريّة (مجموعة شعرية في عام ١٩٧٧م، وطبعة ثانية عام ١٩٩٠م).

الخاتمة

إن سيرة الشاعر الشيخ عبدالله الخليلي حافلة بايقاع الحياة زاخرة بعبائنها الفكري والثقافي والأدبي والاجتماعي والسياسي وبخاصة أنه عاصر أحداثاً مهمة في تاريخ عمان فقد زامنت طفولته عهد السلطان تيمور بن فيصل (١٩١٧-١٩٣٢م) ويفاغته وشبابه عهد السلطان سعيد بن تيمور (١٩٣٢-١٩٧٠م) وأسهم في مسيرة النهضة العمانية التي أطلقها السلطان قابوس بن سعيد منذ عام ١٩٧٠م معطيًا خبرته وبنًا ثقافته إلى أن قضى الله أمره واستوفى أمانته. وفي

المقابل كانت هذه الفترة أيضاً التي عاشها الشاعر الشيخ الخليلى تناوب عليها أئمة منهم عمه الإمام محمد بن عبدالله الخليلى (١٣٣٣ - ١٣٧٣هـ) والإمام غالب ابن علي الهنائي الذي تولى الإمامة بعده. وقعت فيها أحداث سياسية داخلية وأخرى بتأثير خارجي على عمان وضارة بها. كان الشاعر شاهداً عليها وانعكست على شعره وحاول توظيفها في شعره ولكن لم تسعفنا هذه العجالة للتطرق إليها. كما أن الشاعر لم يغب أبداً عن أحداث محيطه وأتمته وكان في كل الظروف والأحوال مشاركاً وداعماً للخيرية فيها.

الفصل الأول

البيان الأدبي للشاعر الخليلي

مقدمة

يفسح هذا البيان مجالات النظر الفكرية والبصرية والثقافية والفنية للبحث في مباحث الشعرية الخليلية وميادين النثرية في إبداعه ومنجزه الوافر. ذلك لأن خصوبة الكتابة وانهمار مطر المعاني أزهرت حقول الرؤية لدية فتتوعدت اتجاهاتها وتعددت مراميها وتشكلت غاياتها. فتجد الشاعر عالماً فقيهاً واسع النظر، ومفكراً فيلسوفاً يتطارع المسائل الدقيقة في مجالات شتى مع أقرانه، وتجد عاشقاً للجمال مفتتاً به، وتارة ملتهباً بالوطنية ومشبوباً بالحماسة، وطوراً سابحاً في الدينيات ومستغرقاً في الابتهالات ومرة مريباً وداعياً إلى الأخلاق والمثل.

لذا فإن المعنى بالدراسات الأدبية عليه أن ينعم النظر ويمعن البصيرة عميقاً في الاتجاهات المختلفة التي تناولها الشاعر، وكذلك على المشتغلين بالدراسات اللغوية والنحوية واللسانية والموسيقى الشعرية أن لا يقفوا عند حدود الظاهرة في شعر الشيخ عبدالله الخليلي، وإنما أن يتعرفوا على طبيعة المجتمع وخصوصية اللغة فيه وخصائصها وبنائها وتوسع مفرداتها ومعانيها والبحث في معجمها، ولا يكتفى بالوقوف على أبواب معاجم اللغة العربية الشهيرة فقط. لقد حاولت في هذا البيان الشعري والنثري أن أفتح بعض بواباته والولوج الى بعض صباحاته لعل ذلك يساعد في تقديم قراءة يأنس إليها فكر القارئ العام وثقافته ويحفل بها الدارس المتخصص.

فلسفته

الناظر في أدب الخليلي - نشره وشعره - تطالعه مظاهر فلسفته الأخلاقية التي تركز على مبادئ الدين الإسلامي الذي جاء ليتمم مكارم الأخلاق. والأخلاق كما تحددها معاجم اللغة العربية جمع خُلُق، وهي السعادة، والسَّجِيَّة والطبع، والمروءة، والدين. وقد يطلق لفظ الأخلاق على جميع الأفعال الصادرة عن النفس سواء كانت هذه الأفعال محمودة أو مذمومة، وإذا أطلق لفظ الأخلاق على الأفعال المحمودة فقد دل ذلك على الأدب، ومن ثم ينبغي علينا أن نفرق بين الأدب والتعليم، فالأدب «يتعلق بالعادات والتقاليد الاجتماعية»، أما التعليم فإنه يتعلق «بالشرعيات» ومن هذا فإننا نستنتج أن الأول «عرفي دنيوي» والثاني «شرعي ديني»^(١).

وقد يساعدا هذا الطرح على تفهم آراء وأفكار الشيخ الخليلي ومن ثم يقودنا إلى عالمه الداخلي كي نبصره ونتبصره بروية فكر، ودقة تشخيص. وعلم الأخلاق، علم قديم عرفه كثير من الفلاسفة القدماء عجمهم وعربهم، وتعرف على مواطن قيمه مجموعة من علماء الفقه والكلام العثمانيين وصاغوا في الدعوة إلى مبادئه القصاصد والدواوين العديدة ومن بين هؤلاء الذين اشتهروا بقصاصد السلوك جد شاعرنا العلامة الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي رحمه الله وأرضاه. فعلم الأخلاق عند قدماء الفلاسفة عرف بعلم السلوك، وذلك لأنه يطرح مجموعة من القواعد الأخلاقية المطلقة والثابتة التي تصلح لأن يؤخذ بها في كل زمان. لكن العلم الذي يبحث في ماهية هذه الأخلاق وقيمها يسمى فلسفة الأخلاق وهي التي تكون محور أطروحات هذا العلم^(٢).

ولقد أبانت المعاجم أن لفظ الفلسفة كان يعني بالنسبة للمشتغلين بها محبة الحكمة، «وهو يطلق على العلم بحقائق الأشياء والعمل بما هو أصلح»^(٣).

(١) د. جميل صليبا، (١٩٨٢)، المعجم الفلسفي، ج ١، ص ٤٩ - ٥٢.

(٢) د. جميل صليبا (١٩٨٢) المرجع السابق.

(٣) د. جميل صليبا (١٩٨٢)، المعجم الفلسفي، ج ٢، ص ١٦٠.

من هذا نستنتج أن الفلسفة الأخلاقية يمكن بلورتها في معنى الحكمة العملية، وهذه الحكمة هي التي «تفسر معنى الخير والشر»^(١)، أي أنها معنية بالتعامل مع ضدين كامنين في السلوك البشري. كما أنها تشتمل على بعدين أو قسمين متقابلين: أولهما عام ويتضمن مبادئ السلوك الكلية وثانيهما خاص ويتضمن تطبيق هذه المبادئ في مختلف نواحي الحياة الإنسانية.

ونتيجة لوقوع شاعرنا تحت تأثير بيئته الخاصة، وبيئته الثقافية العمانية العامة التي أحاطته طفلاً ويافعاً وشاباً بين شيوخه وأساتذته وعلماء عصره وفي حضن أمامه، وبيئته الطبيعية والاجتماعية المسكونة بموروث ضخم من العادات والتقاليد، واحتفائه بالموروث العربي وإيمانه بقواعد الدين الإسلامي ومبادئه السمحة ودعوته الصادقة لمكارم الأخلاق، لما في ذلك صلاح للمجتمع والإنسانية، قد رسخ في ذاكرته ووجدانه انتهاج هذه الفلسفة الأخلاقية لأنه آمن بأهمية دورها في تقويم السلوك الإنساني وحثه على الخير، والمحبة، والمودة، والصدق، والوفاء.

وقد أعرب عن نظرته الفلسفية في قوله: «تجدني نشيطاً وأنا أسودّ كلماتي هذه لأنني أدخر بين زواياها نية صادقة، وقصدًا صالحاً دلفت بهما إلى الله وحده داعياً، ومحباً وحاتئاً إلى الأخذ بما جاء به رسوله عليه صلاته وتسليمه وإلى مكارم الأخلاق ومعالي الأمور، لا أسأل على ذلك من أجر، إن أجري إلا على الله ولا أريد به علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين، إنما هو خاص لوجه الله الكريم»^(٢)

وإيماناً بهذه الفلسفة الأخلاقية، حرص الشاعر على أن يقدم الدليل العلمي الذي يحمل رسالته الفكرية إلى المجتمع من خلال تبنيه موضوعات شعرية شتى تتناول الدعوة إلى نهل العلم والتمسك بالأخلاق الفاضلة، والابتعاد عن الصغائر وتطهير النفس من الرذائل والاقتداء بالرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم)

(١) د. جميل صليبا (١٩٨٢)، ج ١، ص ٤٩ - ٥٢.

(٢) عبدالله بن علي الخليلي (١٩٩٠)، وحي العبقريّة، ص ٢٥

والاهتداء بمبادئ الدين الحنيف، والحث على الأخلاق الفاضلة من مروءة وشهامة وأخلاص وصدق ووفاء. وجاءت أشعاره ترجمة لهذه المعاني الجليلة. وقدمت مقاماته صوراً مماثلة لتلك التي تضمنها شعره الزاخر، بل ضمت ضفاف سطورها آراءه الصريحة في كثير من القضايا المعاصرة التي تشغل ساحتنا العربية على وجه الخصوص. ومنها آراؤه في العقل وأهمية تعليمه وتدريبه، ورأيه في المنقول والمعقول وهي قضية قديمة جديدة، ورأيه في التصوف وأهمية أثره من الناحية الدينية على صفاء المشاعر الإنسانية. كذلك جاءت مقاماته متجاوبة مع آرائه في الشعر، وفي اختلاف طبائع النفس البشرية فضلاً عن آرائه المتسمة بالجرأة والقدرة على الطرح والتناول وهي التي تتعلق بسياسة الحكم وشؤونه، وكيفية العلاقة الرابطة بين الحاكم والمحكوم، وكذلك آرائه النافذة فيما يتعلق بالمسائل الشرعية، كتعدد الزوجات، وحجاب المرأة، والصلاة، والزكاة، والصيام، وما إلى ذلك من القضايا التي تظل معاصرة لكل زمان ومكان.

لذا فإن الباحث في أدب الخليلي، والناقد للأسلوب الذي تم به تقديم مختلف الأجناس والأشكال ينبغي عليه أن يلتفت إلى فلسفته الأخلاقية التي يتبناها الشاعر وارتضى مبادئها، وهب مدافعاً عنها، ومسخرًا موهبته الفذة لتقديم نماذج مختلفة، وصوراً (متعددة) تحمل رسائلها بوضوح وشفافية إلى المجتمع، والإنسان ليس فقط على الصعيد المحلي، بل تتجاوزه إلى مساحة الوطن العربي الكبير وحدود العالم الإسلامي، وتصل إلى مواقع التواجد الإنساني على سطح الكرة الأرضية.

أدبه

نلمح في أدب الخليلي- نشره وشعره، أفكاره، وآراءه، ونظراته للحياة والوجود والمجتمع، والإنسان والكون. ونتحرى في إطار هذا الأدب مفردات فلسفته الأخلاقية الداعية إلى الخير ونبذ الشر، والحاضنة على المروءة، والشهامة، والتمسك بأهداب الدين الإسلامي الحنيف، وحب الوطن، والسعي لتجاوز الواقع الراهن إلى واقع أفضل، بالصدق والعلم والجهد والعمل.

النثر

يضم النثر بين دفتيه المقامات التي ما زالت مخطوطة (تحتاج الى تحقيق عميق وتدقيق ممنهج)، والكلمات التي صدّر بها دواوينه الشعرية على نحو أخص، والمذكرات المكتوبة التي تتحدث عن جانب من حياته، ثم القصص القصيرة التي يحاول الكاتب أن يجعلها منفذاً ليطل منها على القارئ بآرائه وأفكاره، كي يتمكن القارئ عبرها من التعمق في عالم الكاتب ورؤاه، في مختلف المجالات التي تهم الوطن والمواطن والإنسان والمجتمع والدين.

وقد تعرفنا حتى الآن على ست مقامات تتحدث في موضوعات مختلفة، كل منها يحمل رسالته الخاصة إلى عامة الناس وسوف نتناولها بإيجاز مكثف الحديث عن بغيثها وأهدافها دون الدخول والتوسع في تفاصيل البنية الفنية.

المقامة النزويّة

في هذه المقامة يستعرض الكاتب واقع الأمة العربية من خلال التركيز على فترتين في حياة الشعوب العربية وهما: فترة الجاهلية، وفترة بزوغ فجر الإسلام، ويعقد مقارنة بينهما حيث كان الضعف، والتشتت والتفرق والفساد في الأولى، ثم القوة، والعزة، والمنعة والصلاح في الثانية. مذكراً بأن سبب ضعف الواقع العربي الراهن هو ابتعاده عن مقومات قوته وعزته وهو الإسلام. ومنادياً بالتمسك به وبالاقتداء برجاله الصالحين، ابتداء بالرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وسلم) - واتباعاً للخلفاء الراشدين وغيرهم من أعلام الأمة من أهل الفضل، والعلم والعمل.

المقامة التساؤلية

يفصح فيها عن آرائه حول الشعر والنثر، والشباب، وعن مطابقة الشرع للعقل، وعن المعقول والمنقول وعن الصلاة والصيام، والزكاة، والحج وعن تعدد

الزوجات، والزواج المبكر، وفيها يطرح الشاعر موازنة بين القيم الأخلاقية المختلفة التي تنضوي في إطارها هذه الموضوعات وبين موقف الشرع في مبادئه السامية منها. وكيف أن الوطن والدين مخترق من قبل القوى الخارجية المتعارضة مع أفكاره وتوجهاته، ثم يدعو الشباب إلى الجد والعمل، ونبذ التكاثر والإهمال. وهو في ذلك يوازن بين الأيام الأولى الراكدة في مستقع الفراغ، والأيام الحاضرة التي يستفزها العقل ويصدمها بكثير من أجل حياة زاهرة، وحضارة مستتيرة.

المقامة اللغوية

ولقد جاء توسعه في اللغة العربية بغرض الالتفات إليها والاحتفاء ببيانها، وبلاغتها، وفقهها، وفي سبيل ذلك جاء بكلمات (جناسية) تتفق لفظاً ورسمًا وتختلف معنى بحسب موقعها من الجملة: مثل كلمة «العجوز» التي أورد لها معنى، وكلمة «العين» معنى، وكلمة «الخال» معنى. كل ذلك من أجل التنبيه إلى ما هو في اللغة العربية من ذخائر لغوية، ودلالات معنوية نفيسة، قابلة لاحتواء متطلبات العصر ومنطلقاته، واحتضان مضامينه الجديدة، ومواكبة تطوره في شتى المجالات. وهو بهذا يسعى إلى دحض الدعوات المنفرة منها، وكبح جماح الغوايات الرامية إلى قهرها وانزوائها. وكأنه يشارك أقرانه من أدباء هذا القرن- العشرين- كالعقاد وغيرهم- تصديهم للمحاولات العديدة التي أرادت النيل من اللغة العربية والمساس بجوهر أصالتها، بغرض تغييب دورها الفاعل في الثقافة العربية والإسلامية.

ولقد تتبعت الدكتورة نورية الرومي إلى هذا التوسع اللغوي، وقامت بحصر المفردات العديدة في دراسة عن مقامات الخليلي قدمت في المهرجان الذي أقامه المنتدى الأدبي لتكريم الكاتب والشاعر الشيخ عبدالله الخليلي. نحيل القارئ إليها^(١).

(١) د. نورية الرومي، قراءة أولية في مقامات عبدالله بن علي الخليلي، في إصدار المنتدى الأدبي (١٩٩١)، مسقط.

المقامة الجعلانية

وهذه المقامة على قدر كبير من الأهمية لأنها تفصح عن آرائه في فلسفة الحكم وعلاقة كل من الحاكم والمحكوم بالالتزام بالشرعية، والنظام القائم عليها وصلتهما ببعضهما .

وفيها يطرح تصورات ونظراته لكيفية معالجة القضايا الملهية في المجتمع وأسبابها حاثًا الحاكم على الالتزام بشرع الله، والإخلاص للوطن، وتجنب نفسه الهوى بتقويم اعوجاجها، وجعلها سائرة على نهج الاستقامة المستمدة من الدين الحنيف.

المقامة السمائية

وهي تتضامن مع المقامة اللغوية لأنها ركزت على البلاغة العربية وعناصرها، وبجانب ذلك توضح آراء الشيخ في مبدأ حق المرأة في حرية اختيار الزوج انطلاقًا من القاعدة الشرعية في أن البكر تستشار فيصوغ رأيه في أبيات شعرية ضمن سياق المقامة:

وقال قم يا فتى خذها مباركةً

في ذمة الله واعطِ السعد أحضاننا

وهاك أصرة التزويج قائمة

على الشريعة أن الشرع ربنا

فكان من نقطة الأمال منطلق

المال عِشًّا بناء الدين بنيانا

عِشًّا على شجرات الأنس تحفظه

عناية الله أركانًا وحيطاننا

المقامة السمديّة

أبان فيها الشاعر عن رأيه في طبائع البشر المختلفة موضحاً أن في «الناس من ينضوي في الظلام، ويختلس فرصة الوثوب من المودة، ويتخذ من مناورة الحديث عدة، إذا خاف تواضع واعتذر، وإذا أمن لبس جلد النمر، والعاقل من إذا أمن حذر، وإذا خاف لم يستتر»، كما أنه يؤكد بأن القضاء واجب الإيمان به، خيره وشره، حلوه وممره، وهو من قواعد الإسلام الإيمانية إذ إن «المخلوق رهين القضاء وهدف البلاء، وأسير العناء، ولا يجلب لنفسه خيراً، ولا يدفع عنها ضيراً إلا بقدر مقدور وأمر مأمور»^(١)، وأحسبه يقصد - كما قال ابن رشد -: أن الإنسان مسير في ما لا يعلمه، وهنا يبرز دور القضاء والقدر لأنهما في علم الله، ولكن أي الإنسان مخير فيما يعلمه ويقع في سمعه وتحت بصره وبصيرته، ويلمسه بيديه ويحسه بمشاعره ويجيله في فكره وخاطره.

لم يحظ فن المقامات في تاريخ الأدب العربي بنفس القدر من الانتشار الذي حظي به الشعر في مختلف أشكاله، وتنويعاته، منذ البداية الأولى للمقامة على يد ابن دريد الأزدي العماني المتوفى عام (٣٢١هـ) إذ كانت أساسها أحاديثه الأربعين كما أخبرنا بذلك أبو القاسم القالي في كتابه الأمالي.

وكان ازدهارها على يد بديع الزمان الهمذاني، والحريري اللذين بثّا فيها روح الوجود في ساحة الأدب العربي كفنٍّ قائم بذاته ثم مروراً بالسيوطي، والقلقشندي وابن الجوزي ووصولاً إلى عصر النهضة وأوائل القرن العشرين بدءاً من ناصيف اليازجي والشيخ حسن العطار، وفارس الشدياق، وحافظ إبراهيم وآخرين من أضرابهم ومن بينهم الشيخ عبدالله بن علي الخليلي، ولأن أسلوب المقامة عند

(١) د. الطاهر أحمد مكي، المقامة والقصة في أدب الشيخ عبدالله الخليلي، في إصدار المنتدى الأدبي (١٩٩١)، مسقط.

المحدثين أيضًا حافظ على ملامحه القديمة خاصة «مجال السجع والمزوجة والازدواج وطريقه القص»^(١)، فقد وجد الكاتب نفسه مضطراً أن يتلاقى معه، فشكل هذا التلاقي قاسماً مشتركاً في أساسه، وهو الموروث، مع اختلاف في تفاصيل جزئياته، وهي تلك المتعلقة بالمكان (البيئة العمانية) والزمان (النصف الثاني من القرن العشرين)، والشخصيات ووسيلة الانتقال. وعلى الرغم من وحدة الزمان إلا أن المكان لم يكن واحداً، وإنما دارت أحداث موضوعاته في أشهر المدن العمانية وهي نزوى وسمائل في الداخلية، وسمد وجعلان في الشرقية، فحملت بعض المقامات أسماءها. وهو في «وصفه للمكان والزمان طويل النفس، غزير العبارة، يستقصي ما يصفه، لا يترك شاردة ولا واردة إلا أتى بها»^(٢).

وتلاقيه مع من سبق من كتاب المقامة لا ينفي تفردّه بمعالجة موضوعات متصلة بثقافة العصر وهمومه، فكل واحد من هؤلاء قد سعى جاهداً لتصوير «مشكلات عصره، وهموم قومه، ومعضلات زمانه»^(٣). وقد أثرت نزعتة الأخلاقية في بناء مقاماته، فلم تظهر فيها ملامح المجون والهجاء، وخلت من الألفاظ وغيرها، وهي في ذلك متجاوبة مع ملامح شعره. كما جعل راوية مقاماته شيخاً وقوراً مثقفاً ومحيطاً بأمور كثيرة كالدين واللغة. وللتدليل على عصرية الزمان، فقد استخدم وسيلة حديثة للتتقل وهي السيارة الفخمة التي تتقل الشيخ من مكان إلى مكان، وتطوف به أرجاء عُمان.

-
- (١) د. الطاهر أحمد مكي، القامة والقصة في أدب الشيخ عبدالله الخليلي، في إصدار المنتدى الأدبي (١٩٩١)، مسقط، ص ١٢٩.
- (٢) د. نورية الرومي، قراءة أولية في مقامات عبدالله بن علي الخليلي، في إصدار المنتدى الأدبي (١٩٩١)، مسقط، ص ٨٣.
- (٣) د. الطاهر أحمد مكي، القامة والقصة في أدب الشيخ عبدالله الخليلي، في إصدار المنتدى الأدبي (١٩٩١)، مسقط، ص ١٢٩.

الشعر

الشعر أكثر إنتاجه الأدبي وهو يحفل به كثيرًا ويهتم بمعانيه، ويرسم صوره ويسخر موهبته في تجويده، يؤهله في ذلك مقدرة لغوية غنية بدلالاتها، وأخيلة خصبة ثرية، تطوف مجال الكون الواسع، وحس موسيقي يتحكم في تفعيلات الخليل، وقوافي الشعر بمهارة عازف حاذق، وصانع قادر على التشكيل، والتلوين في أبيات مصاغة بالبيان، ومرصعة بالبديع كما أشار إلى ذلك بنفسه في (وحي العبقرية) وهذا الاهتمام بالشعر قد أنتج حتى الآن دواوين شعرية مطبوعة منها: من نافذة الحياة، وحي النهى، وحي العبقرية، على ركاب الجمهور، وبين الفقه والأدب ومنها مخطوط ديوان فارس الضاد والخيال الزاخر ودواوين أخرى مخطوطة.

إن تطوفاً سريعاً في مجالي هذه الدواوين. نجدها تحتوي على كثير من القصائد الشعرية، وأجناسها المختلفة، مبوبة بحسب موضوعاتها. وتدور موضوعات القصائد حول محاور عدة: منها الدينيات (شعر التصوف والسلوك، والمديح النبوي والابتهالات والتوسلات)، والحكمة والتاريخ (ملحمة تاريخية)، والوطنيات والإخوانيات والغزليات والوجدانيات، والتأمل، والمراثي، والمدح والمناسبات العامة، ثم الموضوعات الاجتماعية الأخرى.

لقد صيغ هذا الشعر في أربعة أجناس شعرية هي: القصيدة الموروثة بمفهومها العام (أي نموذج الشطرين)، ثم الموشحات، فالتخميسات، ثم الشعر الحر (أي نموذج السطر). وكان التعبير عن مضامين هذا الشعر أما بواسطة الصوت الأحادي في القصيدة وهو صوت الشاعر، أو من خلال الحوار الدرامي كما هو الحال في شعره القصصي. وفي هذه الدراسة سوف نتناول بإيجاز بعضاً من الموضوعات الشعرية التي كتب فيها الشاعر، ذلك لأن غرضنا توضيح جوانب من شعره وليس كله، والتدليل على ملامح فلسفة الشاعر وليس الاستقصاء.

الشعر الديني

من المعروف أن أغراض الشعر الديني هي تمجيد الدين، والحث عليه وترغيب الناس فيه، وتحبيبهم إليه، ونصحهم بعدم الابتعاد عن روحه ومبادئه وأخلاقياته. ولذا نرى أن معظم الشعر العربي الديني يتمحور حول مدارات يكاد لا يتعداها إلا نادراً وذلك منذ أن بدأ هذا الشعر في الظهور على يد حسان بن ثابت ثم توسع فيه بعد ذلك المتصوفة وأمثالهم. هذه المحاور يمكن بلورتها في شعر السلوك وهو المعني بالأخلاقيات، وشعر التصوف وهو شعر معني بالخطاب النفسي مع الذات العلية، وشعر المدائح النبوية وهو شعر معني بمدح الرسول (صلى الله عليه وسلم). وأخيراً شعر الزهد المعني بدعوة الناس للترفع عن ملذات الدنيا وطلب التقشف وبذل الجهد في الطاعات، وشعر الأدعية والتوسلات والإلهيات وهذا الشعر يتداخل ويتشابه بشكل كبير مع شعر التصوف لولا وجود خيوط رفيعة تفرق بينهما، وهي تلك المتصلة بفلسفة كل منهما.

معظم شعراء التصوف قد كتبوا في شعر السلوك إن لم يكن كلهم، كما شاركهم في ذلك أئمة الفقه وأشهرهم الإمام الشافعي- رضي الله عنه- ومن قبله أمير المؤمنين- على بن أبي طالب كرم الله وجهه- فيما ينسب إليه من شعر. أما النوع الثاني فإن أشهر من كتبوا فيه هو أبو العتاهية وله في ذلك القصائد الكثيرة والإنتاج الوفير، وأتى من بعده شعراء كثر على امتداد الوطن العربي، كل منهم يسهم بنصيب إلى يومنا هذا. والحديث عن شعر التصوف وكيفية ظهوره والمؤثرات التي دخلت عليه والفرق التي توالى بعد ذلك على التمسك به، حدث ليس مجال هذه الدراسة. لكننا نكتفي بالتنويه إلى أن أشهر شعراء هذا الجنس الشعري في القديم كان بشر الحافي، والحلاج، والبسطامي، وابن عربي، وابن الفارض، والسهروردي، وغيرهم.

بينما كان البوصيري، وعبدالرحيم البرعي من أشهر شعراء المديح النبوي ويعتبر أحمد شوقي من أهم الشعراء العرب الذي كتبوا المدحيات النبوية في العصر الحديث بالرغم من أن قصائده، خاصة الهمزية، والميمية- قد نسجها على منوال قصائد البوصيري لكنه أضاف إليها من فكره ووجدانه.

في عمان، بدا هذا النوع من الشعر الديني في بداية القرن الأول الهجري عند مثول أول رجل من عمان بين يدي رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- يعلن إسلامه، ذلك كان مازن بن غضوبة الطائي السمائي، فتفتحت زهرة الشعر الديني في أول مقطوعة شعرية دينية من نوعها في الشعر العماني، وقد حفظت لنا منها كتب التاريخ العماني أبياتاً معدودة جاء فيها:

إليك رسول الله خبّث مطيّتي
تجوبُ الفيافي من عُمان إلى العرج
لتشفع لي يا خير من وطأ الحصى
فيغفر لي ربي فأرجع بالفلج
إلى معشر جانبت في الله دينهم
فلا دينهم ديني ولا شرجهم شرجي
وكننت امرءاً باللهو والخمر مولعاً
شبابي إلى أن أذن الجسم بالنهج
فبدّلني بالخمر أمناً وخشية
وبالعهر أحصانا فحصّن لي فرجي
فأصبحت همي في الجهاد ونيتي
فلله ما صومي ولله ما حجي

ويذكر أحمد بن سعود السيابي في معرض حديثه عن إسلام مازن إنه يفهم من سياق الأبيات أن لقاء مازن برسول الله - ربما قد تم أما في مكة أو في المدينة نظراً لقرب (العرج) من أحدهما^(١).

(١) أحمد بن سعود السيابي، مازن بن غضوبة السعدي، حياة من أجل الاسلام، مسقط.

وتتواصل رحلة الشعر الديني في الأدب العماني فيقدم ثابت قطنة الأزدي- وهو من فرسان الثغور في الدولة الأموية- مساهمة في هذا المجال بمقطوعة دالية يقول فيها:

يا هند فاستمعي لي أن سيرتنا
أن نعبد الله لا نشرك به أحدا
مَنْ يَتَّقِ الله في الدنيا فإن له
أجر التقى إذا وفى الحساب غدا
وما قضى الله من أمر فليس له
رد وما يقضى من شئ يكن رشدا

وهناك نماذج عديدة قدمها شعراء عمان في هذا المجال منهم أحمد بن النظر الذي توفي في القرن الخامس الهجري، واللواح الخروصي الذي عاش بين القرنين التاسع والعاشر الهجريين، والمعولي أحد شعراء الدولة اليعربية التي حكمت عمان في القرن السابع عشر الميلادي، والشيخ العلامة سعيد بن خلفان الخليلي في القرن التاسع عشر الميلادي جد شاعرنا عبدالله بن علي الخليلي، وابن شيخان السالمي وأبو مسلم البهلاني من شعراء القرن العشرين ثم شاعرنا موضوع الدراسة. أن الأسماء المذكورة تمثل فقط نماذج للمبدعين العمانيين في هذا الجنس الشعري نوردتهما بغرض الاستشهاد لا الاستقصاء، ذلك أن هناك أسماء كثيرة لها أسهامها الفاعل في هذا الميدان.

لقد توفر للشيخ الشاعر موروث أسري خاص في مجال الشعر الديني وأهمه أسهامات جده الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي خاصة في قصائد السلوك، وتوفر لديه موروث عماني منذ أن أضاء الله ربوع عمان بنور الإسلام، كذلك توفر لديه الموروث العربي والإسلامي فوعاه عقلاً. وأدركه حساً، وذاب فيه حباً.

كتب الشيخ عبدالله الخليلي في أغلب مجالات الشعر الديني من سلوكيات وتصوف، ومن مدحيات نبوية. وجعل للسلوك والتصوف مجالاً منفصلاً عن مجال المدح النبوي، لكن هذا الفصل لم يحل دون تداخل الغايات في أنفاس القصائد المكتوبة. وهذه الغايات حملت الشكوى من التاركين للدين والمبتعدين عن الأخذ برأي الشرع، وطلب الدعاء بالهداية وجمع الشمل والرفعة بالعزة من الذل من أجل نصرة الحق وشموخ الإسلام ثم استرسل في الدعاء الخاص مع مناجاة حميمة نابغة من قلب مشوق، ونفس تشف عن حب عميق:

خاتمَ الرُّسُلِ كم أناديكَ والأب
سأُ حولي كأنها الرُّقْطاءُ
والليالي عوامل الشرِّ والشر
كِ وأين الفرار وهي الحواء
وبنات الدنيا حوامل مكرٍ
تلدُّ الظلمَ وهو بئس الوباء
وبنوها كأنهم حمل اللغ
ز غموضاً تفصيلها النافقاء
وعليهم من أمهات الليالي
جزية الذلِّ والصَّغار جزاء
وأمان للحقِّ بدَّدها الحق
د جذاذاً وساعد العظماء
وعيون الكتّاب تبكي مع السُّنَّةِ
حيث الإجماعُ وهي تُساء
ومن العلم السنُّ تخرس الده
ر ولكن قلوبها الببغاء
غرقت في الردى بمن ضمت الفل
ك ودارت عليهم الدَّماء

فَسَلِّ اللّٰهَ نَجْوَةً لِّمَوَالِيهِ
لَهُ فَلِلّٰهِ بِالْمَوَالِي احْتِفَاءً
ثُمَّ سَلِّهِ فَتْحًا مَّبِينًا وَنَصْرًا
لِّيُعَزَّزَ الْإِسْلَامَ وَالْأَوْلِيَاءَ^(١)

وحين تكون المناجاة روحية خالصة تتفجر فيها لواعج الشوق، وتزداد المشاعر
ظمأً حارقاً ينم عن ذوبان في حب رسول الله صلى الله عليه وسلم: -

يا سيدي نظراتُ منك ترمقني
تحت الخفاء كمنهل من الديم
لو فارقتنني فواقاً ذبْتُ من حَرَقٍ
أو غبت عنها فراقاً متُّ من ندم
كم إختفت دون طرفي وهي حاضرتي
فألمسُ الشوقَ في أحشاي كالضرم
وكم طمى بي ذهولي دون رؤيتها
فاندكَّ طودي بين الغم والغمم
وكم ترامت أمامي وهي مشرفةٌ
فعاد طرفي عن التحقيق وهو عمي
وكم تجلَّتْ على طوري مناجيةٌ
فظلَّ سمعي عن الإيماء في صمم
وكم أقامت بفكري وهو ينشدها
حتى يهي فيناغي أنَّة السقم
فما لأطوارٍ حالي في تقلُّبها
مثلُ المسافرٍ من بيدٍ إلى أطمٍ^(٢)

(١) عبدالله بن علي الخليلي (١٩٩٠)، ديوان وحي العبقريّة، ط٢، مسقط، ص ٧١-٧٢.

(٢) عبدالله بن علي الخليلي (١٩٩٠)، ديوان وحي العبقريّة، ط٢، مسقط، ص ٨٨.

نبراته في هذه القصيدة المعنونة (بين القبر والمنبر) مشفوعة بالخشوع، وخضوع المحب (وهو الشاعر) لحبيبه وهو (الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، وبالرغم من أن القصيدة منسوجة على منوال البردة للبوصيري، ونهج البردة لشوقي إلا أن تجربته الخالصة الصادقة المنبعثة من أعماق نفسه المدلّهة بالحب، جعلتها تنفذ إلى قلب المتلقي رسول محبة وإيمان. وكان لذوبان الروح غنائية عذبة قربت بها من النفس، وسهلت لها سبل النفاذ إلى القلب والروح، كما أن نسيجها المتماسك جعل منها لوحة روحية تخاطب الأحاسيس والخلجات على حد سواء مع العقل والتفكير. ويرى الدكتور أبو همام، عبد اللطيف عبد الحليم أن: «هذه أبيات تكفي وحدها للتعبير عن مدى لواعج الشاعر، وظمئه الحارق إلى الرؤية، فضلاً عما فيها من الفكر الدقيق الواعي وهو ذاهل، وربما لا تجد نظيرهما في نهج البردة، صدق لهجة، ولغة متماسكة»^(١).

وحيثما يتعلق الخطاب بالفرد- أي الإنسان- فإنه يوجه نداءه إليه مباشرة ويدعوه دون اللجوء إلى الترميز كاشفاً عما يرمي إليه وعما يريد أن يوصله من نداء حاثاً على التمسك بالدين وأهدابه قائلاً:

قم للمهيمن تحت ظل سمائه
وارفع يديك مهيناً بدعائه
واشدّد يدك بحبله متبتلاً
فلعلّه يدنيك من عليائه
وإذا دهتك من الليالي شدةً
فارفع إليه كفّ عانٍ تائه
واجعل يقينك بالإجابة قاطعاً
بالفوز عند قبوله وجفائه

(١) د. أبو همام عبد اللطيف عبد الحليم، في الشعر العماني المعاصر، القاهرة، ص ٢٤

واظهر، وطهّر رجسّ ثوبك بالدعا
والصوم تظهر في ظهير لوائه^(١)

الشعر الغزلي

لا يعدو الغزل في شعر الشيخ الخليلي عن كونه نهجاً نحو الإحساس بالجمال وتوجيه الأنظار إلى مباهجه وأشعار الألباب بمواطن الفتنة فيه لإظهار جمال بديع الصنع الإلهي. مواصلاً بذلك إضاءة جوانب من فلسفته الأخلاقية بتوجيه الناس إلى النظر والتذوق في جماليات الصنع الرباني التي أودعها الطبيعة بكل ما فيها وما عليها وما احتوته من مخلوقات الله. والإحساس بالجمال العام ظاهرة قديمة جديدة في الشعر العربي ولها شواهد كثيرة عند شعراء العربية، كشعب بوان للمتبي، والربيع للبحثري، وقصائد ابن زيدون. وفي العصر الحديث كشعر الشابي في تونس، والتيجاني بشير في السودان، وشعراء المهجر، وأصحاب مدرسة أبولو، والديوان وغيرهم ممن أسهموا في بث روح النزعة الجمالية. وحرى بالناقد لشعر الشيخ أن ينظر إلى مواطن الجمال العام، وأن يحاول محاورة مفرداته من خلال الفلسفة الجمالية. ففي قصيدة سمراء النيل يرسم الشاعر لوحة فنية لمهرجان الزهور، والأشجار، والأغصان، والطيور تغرد. والمياه تناسب في نغم رائع. وحفيف النسيم كأنه أنفاس مشتاقين من خوف حراس:

وخميلة حاك الربيع بساطها
خضرا ونمنمها بزهر كاس
من أحمر مثل العقيق وأصفر
ومُـوَرِّ زاه كوجنة حاس
غناء باكرها الحيا فاقاحها
ثغر ونرجسها نوات نعاس

(١) عبدالله بن علي الخليلي (١٩٩٠)، قصيدة الهيمنة والهيمنة في ديوان وحي العبقريّة، ط٢، مسقط،

والياسمين على البنفسج طافح
والورد جُوري على منعاس
والأس من تحت النسيم كأنه
مرحُ المليح بقدّه الميَّاس
وكانما النُّسرِين في باقاته
أقراطُ غانيةٍ على مقياس
وكانما الرمانُ أثداءً المهّا
والكرم يلحفه بليلٍ عاس
وكان زغردة الهزار بغصنه
نغمُ الحسان تهيم في الأجراس
وكان ترجيع البلابل حوله
داود هاج بلابل الجلاس
وكان وسوسة الجدول في الدجى
حلي الكعاب برنّه الوسواس
وكان هينمة الصُّبا وحفيّفا
همساتٌ مشتاقين خوف حراس^(١)

لاحظ عدد من النقاد ومن بينهم الدكتورة نورية الرومي غزل الشيخ عبدالله الخليلي^(٢). فالشاعر حينما يصف حبيبته ينفذ إلى خوالجك، فيحرك مشاعرك ويستفز حواسك بالخيال الفياض ورقة الأسلوب:

(١) المرجع نفسه، ص ٣٨٥.

(٢) لا يوحي بوجود امرأة محددة، بل يعطينا صورة لا مرآة عامة فهو مثلاً لا يصرح باسمها أو يحدده، كما أنه لا يعطينا من وراء تصويره لجمالها إلا الإحساس العام فقط وهو في سبيل تحقيق ذلك يحشد ألفاظ الصفات الجمالية العامة.

وحبیبِ كانه نضرۃ النع
 ماء في نفحة النسيم الرطيب
 عشتُ عمري بقربه أجتلي النع
 مة والعيش في الرداء القشيب
 وتمليته جلالاً، وحُسناً،
 وجمالاً، ونفحة من طيب
 وتمتعت بالحياة به خض
 راء أحلى من رُقّة الأسلوب
 ولمستُ النعيمَ برداً لديه
 بين أزوار أنسه والجيوب^(١)

وقد أضاف الشاعر الأزوار والجيوب إلى الإنس ليبعد الظن الذي قد تثيره
 القراءة غير المتأنية في النص. ويبين الدكتور أبو همام عبداللطيف عبدالحليم «أننا
 نلمح لديه حساً روحانياً، وجلالاً ممزوجاً بالجمال.. كذلك نلمح لديه مدى اهتمامه
 ببرقة الأسلوب»^(٢).

ظاهرة التصريح بالأسماء منتشرة في الشعر العربي قديمه وحديثه، ووجدت
 طريقها أيضاً إلى الشعر العماني، وأهم هؤلاء الشاعر سليمان النبهاني وحبيبته
 راية، والستالي الذي عدد مجموعة منهن: راية وأسماء وغيرهن، فضلاً عن
 الكيذاوي، وغيرهم من شعراء عمان القدماء والمحدثين، غير أن الخليلي بوعي
 منه امتنع عن التصريح باسم الحبيب ليضرب مثلاً على أهمية الاحتشام، وكتمان
 الأسرار. مع شعورنا بأنه قد حاول في غزله إظهار الجمال وإشعارنا به.

(١) عبدالله بن علي الخليلي (١٩٩٠)، قصيدة همسات الوداد، في ديوان وهي العبقريّة، ط٢، مسقط،
 ص ٣٧٨.

(٢) د. أبوهمام عبداللطيف عبدالحليم، في الشعر العماني المعاصر، مرجع سابق.

الوطنيات

ظاهرة الوطن الأكبر في الشعر العربي عند الخليلي تتماشى مع الشعور الكامن في ضمير الإنسان العربي، والتمكن من عقله ونفسه، فإيمانه وحبه لوطنه الأقرب- وهو عمان- يدفعه إلى حب وإيمان أكبر يتسع ليحتضن مساحة الوطن العربي من خليجه إلى محيطه. وهذه النزعة الوطنية برزت في الشعر العربي المعاصر عند رواده مثل البارودي وأحمد شوقي، وحافظ ومطران والشاعر القروي، وعمر أبوريشة، والزهاوي، والرصافي والزبيري وغيرهم كثيرون، كل منهم كان يكافح عن الوطن بشعره وفكره. وكان دفاع هذا الشعر مركزاً على محاربة الاستعمار الأجنبي- الفرنسي والإنجليزي والإيطالي- الذي كان مهيمناً على مقدرات وشعوب المنطقة.

غير أن هذا الاتجاه الشعري في عمان أخذ محورين: أحدهما محلي والآخر عربي- إسلامي، فعلى صعيد المحور المحلي، عني الشعر الوطني بتمجيد الوطن وشعر الاستنهاض الذي كان معنياً بقيام الإمامة والأحداث السياسية الداخلية في عمان فضلاً عن ما كان يدور في البلدان التي كانت تحت الولاية العمانية كشرق أفريقيا وغيرها، وحث المواطنين على التجاوب معها والالتفاف حولها. وأشهر من كتب هذا الجنس الشعري هو الشاعر أبو مسلم البهلاني وخاصة نونيته المشهورة والتي مطلعها:

تلك البوارق حاديهن مرناً

فما لطرفك يا ذا الشجو وسناً

ويشاطر أبا مسلم في هذا الاتجاه الشاعر محمد بن شيخان السالمي. ومع انطلاقة عمان الجديدة في عام ١٩٧٠م نحو استشراف ملامح المعاصرة والأخذ بأسباب التطور والتحديث انتقل هذا المحور إلى الدعوة للبناء والتضامن المخلص

والعمل البناء وأعطت الأناشيد الوطنية والقصائد العديدة ترجمة حية للأهداف والمضامين الوطنية الجديدة.

والمحور الآخر يتمثل في تضامن الشعراء العمانيين مع إخوانهم العرب والمسلمين والإحساس بآلامهم والدعوة إلى مناصرة القضايا العربية والإسلامية كقضية الجزائر وفلسطين، وقضية تفكك العالم الإسلامي، فيبرز هنا أبو سلام الكندي، وهلال بن بدر البوسعيدي وغيرهما من الشعراء المحدثين. وتتطلق صرخة أبو مسلم موجهة إلى المؤتمر الإسلامي المنعقد في القاهرة على يد رياض باشا (١٨٣٤-١٩١١م) وصرخه الطائي للمؤتمر الإسلامي المنعقد في كراتشي بباكستان (١٩٤٧م) وشعرهم لنصرة الفدائيين الفلسطينيين، ثم هلال بن بدر البوسعيدي حول الفيضان الذي أصاب بغداد:

بغدادُ يا بلدَ الأُباةِ

يا أختَ دجلةَ والفراتِ

فإسهام الخليلي في هذا الميدان الشعري- وهو بلا شك أحد مظاهر الشعر العربي المعاصر- نابع من إيمانه بوحدة الأمة ووحدة المصير والتاريخ والدين، واللغة، والعادات والتقاليد، وإن احتفظ كل مجتمع بخصوصيته. فنراه يفصح عن شعوره تجاه قضية العرب الكبرى- وهي فلسطين) بقوله: «فلسطين هم كل عربي أصيل ويهرق عليها كل دم عربي حتى تكون عربية كما كانت والله خير الناصرين». هذه العبارة وضعها الشاعر لتكون استهلالاً لقصيدته المعبرة عن ذات الموضوع وكأنه أراد أن تكون هذا القصيدة نشيداً فدائياً معزوقاً على بحر المتقارب، الراقص بنبضات مشاعر التصميم على استرداد الأرض وتحرير الكرامة، وحسبنا أن نقتطف بعضاً منها:

سنلقى الدخيل، بسيف صقيل

بعزم قويٍّ، برأيٍ أصيل

ونلقى العميلَ بخطبٍ جليل
يَهْدُ العروشَ على الضائم
ونبني العروشَ على أصلها
بحكم المساواة في عدلها
لدى الفرد والجمع في أهلها
لمحكومتها عزّة الحاكم
لتحيا فلسطينُ أمّا لنا
ويحيالها نسلها المحسنا
نضحي لها بالدماء دهرنا
لننضحي بها ذرّة العالم^(١)

تتسع دائرة الشعر الوطني عنده فتمتد من شرقها في مصر إلى غربها في تونس
والجزائر وغيرها . ذلك لأن الوطن العربي وطنه الكبير ومصره الذي ينتمي إليه:
وطنُ العروبة أنت لي وطنُ
أنتى اتجهت وأنت لي مصرُ
أما الجزائر فإنها ذلك الوطن الذي يفخر بكفاحه ومجده كل عربي:
يكافحُ في ريف الجزائرِ أيدياً
غذاها جلال الفخر فضل حليبه
مدينة ألف ألف من شهدائها
بأزكى دمِ هامّ الجلال بطيبه
وهنا يتضح حرصه على سلامة لغته واحتفائه بها لأنه لا يريد استخدام كلمة
«مليون شهيد» وإنما يستعوض عنها بالمصطلح العربي، ألف الألف.

ويهزه واقع الأمة المشتت وعزها المنكسر تحت سياط الخلاف والتمزق
والتناحر والتحاسد والأحقاد . وهو واقع تعيشه الأمة العربية منذ بداية استعمارها

(١) عبدالله بن على الخليلي، قصيدة على لسان الفدائيين في ديوان وحي العبقريّة، مرجع سابق، ص ٤١٠

من قبل القوى الأجنبية، وبرغم خروجها المادي إلا أنها ما زالت باقية في صميم الصراع الدائر في المنطقة. وهو صراع يفت عضد الأمة، ويشيها عن بلوغ شأوها وتحقيق مصالحها العليا في التنمية والسلامة والرخاء.

ومأساة الواقع العربي أخرج فيها الشعراء العرب دواوين كثيرة في مواضع تتناول مظاهر هذه المأساة وتدعو إلى نبذها والتبصر في معالجة أمور الأمة، وقد يكون نزار قباني، ومظفر النواب وشعراء المقاومة الفلسطينية، والبردوني، وفاروق شوشة، وغيرهم من شعراء الأمة في كل بقاعها أمثلة تحسست نبض الأمة فلامست جراحها وجسدت حزنها ومأساتها. فالشاعر الخليلي ينضم إلى هذه المسيرة الصارخة تضنيه مأساة الأمة ويمضه ألمها، فلا يملك غير أن يضم صوته إلى صوت إخوانه من شعراء العربية بالعمل على البناء والابتعاد عن الهدم، والحفاظ على الحقوق في فلسطين، والقدس وغيرها من أمصار الوطن الأم. وفي قصيدة الزوراء من ديوانه المخطوط فارس الضاد يقول:

يَا الْقَوْمِي وَاللَّهِ يَحْفَظُ قَوْمِي
فِيمَ هَذَا الْخِلَافُ وَالضُّوْضَاءُ
عَضُّنَا دَهْرَنَا وَمَا أَنْفَكَ حَتَّى
قَضَمْتَنَا نِيَابَةُ الْحَمْرَاءِ
قَدْ بَكَيْنَا عَلَى فِلَسْطِينَ وَالْقَدِ
سِ وَهَذَا لِبْنَانُ وَهُوَ دِمَاءُ
يَشْرِقُ الْفَجْرُ بِالْقَذَائِفِ فِيهِ
وَأَغَانِيهِ يَجْتَلِيهَا الْمَسَاءُ
يَا دِمَاءَ عَلَيْهِ يَهْرِيقُهَا الظِّلُّ
مُمْ وَ(صَبْرًا) تَبْكِي وَ(شَاتِيَاءُ)
وَمِيَادِينَ لَهُوهُ تَجْمَعُ الرِّقْ
صَ عَلَيْهِ رَجَالُهُ وَالنِّسَاءُ

طَرَبُ صَاخِبٍ وَقَتْلُ ذَرِيعٍ واحْتِلَالُ لأَرْضِنَا وَغِنَاء^(١)

إن الشاعر الخليلي لم يقف بعيداً عن أحداث أمته، ولم يتوار في الزاوية هرباً من مقتضيات الواجب الذي تمليه عليه عروبوته، وأواصر أسلامه. فتمسكه بهما يعتبر رافداً للوجود والشخصية العربية، وأساساً لحياة كريمة مشرقة بالنور، ومرضوفة بالزهور.

ولأن نزعتة الأخلاقية تغلب عليه وتطبع آراءه وتفكيره فإنه يشعر أن من واجبه أن يقدم للأمة ما يجمع تفرقها، ويلم شملها ويصلح من نظامها ويدفعها إلى التقدم والرفق، ثم يوجهها إلى أن الخلاص هو مكنون الكتاب لأن به جمع الله السياسة أسطراً. فلذلك نراه يبتعد عن الترميز ويلجأ إلى التصريح لتكون الرسالة واضحة لكل فئات المجتمع حد سواء:

دَعُوا بَيْنَكُمْ كَيْدَ التَّعَصُّبِ إِنَّهُ
يَغَادِرُ مَخْضِرَ الْمَعَالِمِ أَغْبِرَا
دَعُوا بَيْنَكُمْ شَرَّ الْجِدَالِ فَإِنَّهُ
يَخْلِفُ أَيُّوَانَ الصَّالِحِ مَكْسُراً
دَعُوا سَيِّئَ الظَّنِّ الْمَشْتَتِ وَاخْلَصُوا
إِلَى اللَّهِ يَأْتِ الْكَوْنُ قَسْراً مَسْخُوراً
دَعُوا السَّبَّ وَالتَّوْبِيخَ وَالْقَدْحَ وَانْظُرُوا
إِلَى أُمِّ شَادَتْ عَلَى الْإِفْقِ مَنْبِراً
دَعُوا الْحَقْدَ وَالْغِشَّ الْمُخْلِينَ بِالْعُلَى
وَلَا تَرْكَبُوا ظَهَرَ الْعَتَوِ تَهَوَّراً
عَلَيْكُمْ بِمَكْنُونِ الْكِتَابِ فَإِنَّهُ
بِهِ جَمَعَ اللَّهُ السِّيَاسَةَ أُسْطُراً

(١) عبدالله بن علي الخليلي، قصيدة الزوراء في ديوان فارس الضاد، مخطوط.

الشعر التاريخي

آثرت أن أطلق على هذا القسم من هذه الدراسة (الشعر التاريخي) بدلاً من الشعر الملحمي بالرغم من أن الشاعر قد كان ديوانه (وحي العبقريّة) يتضمن مجالاً خاصة بالملحمة التاريخية وجاء اختياري للعنوان بسبب وجود عدد غير قليل من قصائد الشاعر طبعت بسمات تاريخية ولكنها تبتعد عن ملامح الشعر الملحمي كما هو معروف من الناحية الاصطلاحية.

والملحمة في اللغة العربية هي المعركة العظيمة كما أشار إلى ذلك ابن خلدون في تاريخ الدول، أو هي الحرب الشديدة كما ذكرتها معاجم اللغة^(١).

أما في اللغة اليونانية فهي القصة أو القصة الشعرية، بمعنى أنها قد تكون نثراً مثل تغريبة بني هلال وقصة عنتره، أو شعراً قصصياً يصف القتال والبطولات وتتجاوز فيه الشخوص المختلفة، وقد يكون للأساطير والخرافات دور فاعل في سياق أحداثها وهي مما لا شك فيه قصة طويلة تتسع لاحتواء أفعال كل العناصر فيها.

ومن المعروف فنياً أن الملحمة قد تكون ذات حادثة واحدة أو عدة حوادث، ترتبط مجريات وقائعها بالمجتمع، فقد تمس حياة جماعة بذاتها في مجتمع معين لها آمالها الخاصة وتطلعاتها وطموحاتها ومصالحها المتشابكة أو أنها تمس المجتمع الأكبر بما فيه من تناقضات في أنماط الحياة وتداخلات في الأهداف والمرامي. لكن المهم في هذا كله هو أن تحتفظ الملحمة بوحدة الموضوع. ومن هنا نرى أن الشاعر كان شديد الحذر عند طرحه التسمية، فنسبها إلى التاريخ وليس إلى الشعر، وأسماها ملحمة تاريخية ولم يقل ملحمة شعرية رغم أن الأداة المستخدمة في الطرح هي الشعر.

(١) المعجم الوسيط، ج ٢.

والشعر التاريخي في عمان، تمتد جذوره إلى ما وصلنا من شعر منسوب إلى مالك بن فهم الأزدي أي في نهايات القرن الثاني الميلادي وبدايات القرن الثالث الميلادي الذي نعتبره حتى الآن بداية انطلاقة الشعر العربي في هذا الوطن. فقصيدة مالك النونية مشهورة ومعروفة، ومن أبياتها:

جلبتُ الخيلَ من برهوت شعثاً
إلى قلّهات من أرضِ عمانِ

في هذه القصيدة صوّر مالك رحلته من دياره في اليمن بعد انهيار سد مأرب وكيف تم وصوله إلى عمان، وكيف أنه حارب الفرس وطردهم منها حتى أصبح ملكاً عليها ثم يأسف على نفسه وهو طريق هالك بعد أن أصابه سهم ابنه سليمة وأرداه، حتى قال:

جزأه الله من ولدٍ جزأءٍ
سليمة أنه ساءاً جزاني
أعلمه الرّماية كل يوم
فلما اشتدّ ساعده رمانني

ومن بعده يقدم لنا كعب بن معدان الأشقري وهو أحد فرسان الثغور في الدولة الأموية مطولة شعرية أخرى يصف رحلته في الفتوح الإسلامية في خراسان بجوار القائد العماني المهلب بن أبي صفرة الأزدي وكيف تمكنوا من القضاء على الأعداء وفرحة النصر تثير وجوههم. ويتبعه زمنياً الشاعر القلهاتي في مطولة عنوانها «الحلوانية» التي ذكر فيها أنساب القحطانية ومآثرهم. ثم يطل علينا ابن رزيق وهو شاعر ومؤرخ وأديب عاش في القرن التاسع عشر، بمطولة أخرى يسرد فيها أئمة عمان ويستخدمها مدخلاً للتاريخ العماني وقد أسماها (الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان). واستتباعاً لهذه المسيرة تبرز قصيدة (النزوية) للشاعر هلال بن بدر البوسعيدي وهو من شعراء القرن العشرين حيث يتناول فيها تاريخ نزوى

على وجه الخصوص. ثم يواصل الطريق شاعرنا عبدالله الخليلي بقصيدته المسماة (ملحمة تاريخية). واضح أن مادة هذه الملحمة والقصائد التي سبقتها كانت هي التاريخ العماني. بشخصه وأعلامه وأحداثه ومكانه وزمانه.

ولأن الملحمة معركة، فمن الطبيعي أن يكون موضوعها بطولياً له أثره الخالد في نفوس الناس والمجتمع، بمعنى أن هذه البطولة تكشف عن صراع قد يكون بين حضارتين من أجل الوجود والبقاء والهوية، وقد يكون من أجل الإنسان وتطلعاته وآماله، ويرى الأستاذ جورج غريب أنه لا بد من التفريق بين الشعر الغنائي من حيث إنه صوت الشاعر نفسه والشعر الملحمي القصصي من حيث إن الشاعر فيه يأخذ دور الراوي فقط^(١).

إن المتتبع لتاريخ الأدب العربي سوف يلاحظ أن العرب قد عرفوا الملاحم الشعرية في صورة فن المطولات ولكنهم لم يتعرفوا على الملحمة كبناء مثلما عرفتها الأمم الأخرى كال يونانية في «الأوديسا» والإلياذة»، والرومانية في «إلياذة فرجيل والفروودس والمفقود»، والفرس في «شهنامة أبي القاسم الفردوسي»، والهنود في «الرومايانا والمهبراتا» ومن قبلهما «الأوبانيشاد»، و«الفيدا»، والأشوريون في ملحمة «جلجامش» وغيرها من الأمم ذات التاريخ العظيم ولم يكن بناء العرب الملحمي يماثل ما انجزته تلك الأمم ولكن كان يقاربه. لذا جاشت المطولات الشعرية كمعلقات الحارث بن حلزة وعنترة، وعمر بن كلثوم، وغيرهم من الشعراء بنفسٍ ملحمي واتسمت بميزات الملاحم^(٢).

أما في العصر الحديث فقد انبرى عدد من الشعراء لكتابة الملاحم الشعرية من بينهم أحمد محرم (الإلياذة الإسلامية)، وكامل أمين وآخرون. ويرى الأستاذ جورج غريب أن ملاحم الشعراء المحدثين جاءت لتسد فراغاً في الأدب العربي

(١) جورج غريب (١٩٨٥)، الشعر الملحمي، ص ٧.

(٢) نفس المرجع

خاصة بعد أن نشر سليمان البستاني ترجمته عن إلياذة هوميرو، لكنه يعتبرها خطوات أولى في هذا الميدان^(١). أما الدكتور أبوهمام عبداللطيف عبدالحليم فإنه لا يرى حاجة إلى إلياذة ولا إلى ملاحم^(٢). وبرغم من اختلاف الرأيين إلا أنهما يمثلان مدخلاً لحوار علمي ونقاش مستفيض حول هذه القضية.

إن قراءة سريعة لمكونات الملحمة التاريخية التي كتبها الشاعر ترشدنا إلى بطلها وهو الإنسان العماني، وأنها معركة وجود حضاري وتاريخي حافظ العُمانيون عليه، وفي سبيله تحدوا الزمن وما به من نكبات ومصائب ومصاعب ولكن النصر كان حليفهم. أما الراوي فكان صوت الشاعر نفسه. وبرغم أن هذه الملحمة لم تحمل حوادث وأفعلاً لشخص يتحركون في محيطها ويصنعون أحداثها، إلا أنها احتوت على عنوانين يبينان مراحل الحدث زمنياً، وحضوره مكانياً، ثم تفصح عن شخص كل حدث بذاته. وقد جعل الشاعر التاريخ العُماني مادة الموضوع ووحدته، وجاءت العناوين الفرعية بمثابة المحطات التي ينتقل فيها التاريخ عبر الزمان والمكان ويتبدل فيها الأشخاص، وتتحرك الأحداث وتتغير الأفعال.

وقد وضع الشاعر للمحمته (٣٤) عنواناً فرعياً جاءت مرتبة على النحو التالي:

(١) المقدمة.

(٢) عمان في الجاهلية.

(٣) عمان في بدء الإسلام.

(٤) موقفنا بعد موته.

(٥) موقفنا أثناء الفتنة.

(١) نفس المرجع

(٢) د. أبوهمام عبداللطيف عبدالحليم، في الشعر العماني المعاصر، مرجع سابق.

- (٦) الموقف من الأمويين.
- (٧) انتساب المذهب.
- (٨) استبداد الحكم.
- (٩) قيام الأمر في الأباضية.
- (١٠) بدء الإمامة بعمان.
- (١١) دولة اليعاربة في القرن الثاني.
- (١٢) أئمة القرن الثالث.
- (١٣) حروب محمد بن نور النجدي المعروف مع العمانيين بابن نور.
- (١٤) الأئمة أيام محمد بن نور.
- (١٥) أئمة القرن الرابع.
- (١٦) أئمة القرن الخامس.
- (١٧) أئمة القرن السادس.
- (١٨) ملوك النباهنة.
- (١٩) أئمة القرن التاسع.
- (٢٠) أئمة القرن العاشر.
- (٢١) أئمة القرن الحادي عشر (اليعاربة).
- (٢٢) عمان قبل اليعاربة.
- (٢٣) فتوحاتهم في الغرب.

(٢٤) الأسطول البحري.

(٢٥) طلب المحال.

(٢٦) دولة البوسعيد.

(٢٧) إمامة عزان بن قيس.

(٢٨) إمامة سالم بن راشد الخروصي.

(٢٩) إمامة محمد بن عبدالله الخليلي.

(٣٠) إمامة غالب بن علي الهنائي.

(٣١) حكم السلطان قابوس.

(٣٢) الترويح على النفس.

(٣٣) الخاتمة.

إن هذا العمل الإبداعي بأنفاسه الملحمية يعتبر عملاً شعرياً كبيراً يحمد لمبدعه عطاؤه الغني، وقدرته الشعرية، وجزالته اللغوية ونفسه الطويل، «وسعة ذرعه فيما تضيق عنه أنفاس الآخرين»^(١)، وإضافته الجليلة إلى الأدب العربي والشعر العماني على نحو أخص. وإذا تساءلنا لماذا اتخذ الشاعر من التاريخ العماني مادة موضوعه ورمز وحدته؟ ولماذا لم يستعن بالأساطير والخرافات التي عادة ما تتطلبها مثل هذه الأعمال؟ نرى أن مرد ذلك عائد إلى نزعتة الأخلاقية (الفلسفة الأخلاقية) التي حرص الشاعر على أن يبرزها في معظم إنتاجه، ورغبة منه في شحذ العزائم، وتحفيز الهمم من أجل العمل على تحقيق الطموح وإثبات الذات، وتأصيل الوجود الحضاري. وقد اعتبر شخصيات التاريخ العماني قيماً حضارية ومثلاً سنياً يعتد بها ويقتدى بنهجها. تجسد فيها معنى العمل والكفاح والجهاد والمثابرة والعطاء

(١) نفس المرجع.

وهذه العناصر يعتبرها الشاعر مقومات للنجاح وبلوغ الآمال والمطامح. كما نلاحظ أن الشاعر أراد أن تكون شخوص هذا العمل الإبداعي (الملحمة التاريخية) حقيقة دون أن يستعين عليها بالأساطير أو يضيف إليها الخرافات وذلك إدراكاً منه بأهمية قرب هذه الشخصيات في صورتها الحقيقية من المجتمع العماني وأهمية ملامستها لوجدانه ومشاعره وأفكاره.

الشعر الحر (شعر التفعيلة)

شهدت الأربعينات من هذا القرن بما تحمله من مآس على الصعيد السياسي مولد حركة الشعر الحر على يد نازك الملائكة والسياب ثم تواصلت على يد البياتي وصلاح عبدالصبور وبلند الحيدري ونزار قباني وغيرهم، وهذا الشعر يعتبر وليداً شرعياً للقصيدة العربية المعروفة بقوانينها وموازينها، وإن تقلت من بعض قيودها، وانطلق محلّقاً يجوب الفضاء ويعانق النجوم ويغوص في الماء بحثاً عن اللؤلؤ، ويغرد على الأشجار بحرية فتحت له مجاًلاً واسعاً في الطرح والبناء الشعري، إلا أنه حافظ على مقومات الشعر بمفهومه الصحيح، والتزم بموسيقاه وإيقاعاته ولغته ومنذ الأربعينات وحتى يومنا هذا، والعطاء متواصل في شتى ميادين الشعر، وفنون الكلمة.

في عمان كان عبدالله الطائي من أوائل الشعراء الذي تعرفوا على حركة الشعر الحر. ذلك لأنه كان موجوداً في موقع الحركة، وشهد بداية انطلاقها حينما كان طالباً في العراق ضمن بعثة سيّرها السلطان سعيد بن تيمور لتحصيل التعليم العالي. ولأن الفرصة قد اتاحت لعبدالله الطائي أن يقرأ ويسمع الإنتاج الجديد، أثر أن يكون للشاعر العماني مساهمة فيه، مواكبة لحركة التطور التاريخي. وعندما أصدر ديوانه «وداعاً أيها الليل الطويل» (١٩٧٤م) كان من بين قصائده شعر مكتوب بالطريقة الجديدة، وهي طريقة الشعر الحر (شعر التفعيلة)، وأهم

قصيدة فيه قصيدة (انفخوا النار) وفي عام ١٩٧٥م أصدر سعيد الصقلاوي باكورة إنتاجه الشعري بعنوان ترنيمة الأمل وكان يحمل بين دفتيه شعراً حراً (شعر التفعيلة) وأهم قصيدة فيه قصيدة (ترنيمة الأمل) ثم اتبعه بمجموعة شعرية أخرى ١٩٨٥م بعنوان (أنت لي قدر) وفيه قصائد من الشعر الحر (شعر التفعيلة). وقدم ذياب بن صخر العامري ديوان (قصائد من الزمن البعيد عام ١٩٨١م) وفيه أيضاً شعر حر (شعر التفعيلة) وأهم قصيدة فيه (أنت الوداد).

ونشر محمود الخصبي مجموعة من القصائد على هذا المنوال في الصحف والمجلات المحلية. وقدم هلال العامري (قطرة في زمن العطش) و(هودج الغربية)، ثم تبعته سعيدة بنت خاطر وقدمت ديوانها (مد في بحر الأعماق). واستمر إنتاج الشعراء الشباب في عمان في التواصل والعطاء. لكن المفاجأة الحقيقية هي تلك وبعد ذلك صدر ديوان (على ركاب الجمهور ١٩٨٨) للشيخ عبدالله الخليلي. وجاء هذا العمل الأدبي مفاجأة للأوساط الأدبية التي اعتادت زمناً طويلاً على قراءة إبداعات الشاعر في شكلها الموروث، أما أن يكتب هذا الشيخ شعراً حراً (شعر التفعيلة) فهذا ما لم يكن متوقعاً من الجميع. وقد خلق هذا الفعل تجاذباً في الآراء والأفكار والاتجاهات بين مؤيد ومعارض، ومتحفظ، أي أن عمله حرك الساحة الأدبية وفتح المجال للحوار واستفزاز العقول بكثير من الأسئلة التي أنهت الصمت وحركت المياه الراكدة في مجاريها.

لقد كان هذا العمل ظاهرة فنية في شعر الشيخ عبدالله الخليلي ومحاولة جريئة منه، طرح من خلالها رأيه في الشعر بعد تجربة عميقة معه، وسفر طويل في مجاهله، وهو يرى أنه بالرغم من أن هذا النوع من الشعر قد حل نفسه من قيد قافية معينة فإنه حتى ينجح ويقف على قدميه قيد نفسه بما لا بد منه وهو:

أولاً: لابد فيه من التجربة الشعرية ذات القوة المؤثرة في النفس حتى تعوضه جزءاً من موسيقاه خاصة القافية.

ثانياً: لابد فيه من العلم بأسرار اللغة الصوتية حتى يمكن من وجود انسجام بين الدلالات الصوتية والانفعالات التي تتراسل معها وما يلزم ذلك من تنويع واستعمال حروف وكلمات ذات مدلول معين^(١).

فالتجربة الصادقة والموسيقى الظاهرة في تفعيلاته والإيقاع الكامن في أسرار اللغة الصوتية، والانسجام بين الدلالات الصوتية. والانفعالات النفسية، التي تتجاوب معها مقومات ارتكز عليها الشعر الحر. فهو ليس عملاً عبثياً ولكنه عمل فني إبداعي جدير بالاهتمام.

ويقف الشيخ في المقابل برأي آخر يطرحه حول العمل الذي ليس فيه من الشعر إلا الوزن والقافية، فيقول: «إن الكلام ولو كان موزوناً مقفى لا يسمى شعراً، ولا يمكن أن نطلق على صاحبه إنه شاعر فأصحاب المنظومات العلمية والفقهية لا يدخلون في جماعة الشعراء مع وجود الوزن والقافية في منظوماتهم»^(٢).

والشعر في نظره ومن واقع خبرته الطويلة وتجربته الواسعة هو «ما أخذ بالشعور وكان له جاذبية بالألحان وفقاً لفاعليته، وأسلوبه المتموج بالخيال والرفقة مع تناسب الكلام، وتعادله مع المباني وتقنيته في البيان الساحر الخلاب»^(٣).

والجديد أيضاً في هذه المجموعة بالنسبة للشعر في عمان- هو إنها جاءت في شكل أربع قصص شعرية (كيف أعمل، والفاروق، لا تحتكمي، لقيط) ولم تتضمن أي قصائد شعرية منفردة، وكانت كل قصة مقسمة إلى عدة مقاطع تدور في إطارها أحداث القصة وتتحرك شخوصها وتتجاوز فيما بينها في الزمان

(١) عبدالله بن علي الخليلي (١٩٨٨)، على ركاب الجمهور، (ص ٢١)

(٢) المرجع نفسه، ص ١٨.

(٣) المرجع نفسه.

والمكان. كتبت جميع هذه القصص بالشعر الحر خلافاً لقصصه الشعرية في دواوينه السابقة وأهمها (وحي العبقرية) التي كانت ملتزمة بالشكل الموروث وزناً وقافية. وهذه القصص جميعها مستوحاة من التراث العربي. وفي مقطع من قصة (لقيط) يصور لنا الشاعر البيئة والمناخ والجو النفسي الذي كان يسود مضارب لقيط حينما أقبل على أبيه:

في الحي بين قومه

بين حسان الفتيات

بين المروج الخضر والسفوح

والحمام الزرق

والتلال

بين الجياد والسيوف والرماح

بين مضارب

بين الهواء الطلق والنسيم والظلال

بين أغاريد

الرعاة وهم على الجبال

بين العلاء والمعالي والعوالي

والنبال

حيث أبوه سيد القوم الكريم

حبوته كأنه البدر المنير

في الرجال

أقبل أي لقيط في الأتراب يمشي

شبه المختال^(١).

(١) المرجع نفسه، ص ١٢١.

لقد تجاوز الشاعر بعمله هذا، ما يسمى في علم السياسة والاجتماع الحاجز النفسي، وقدم بتجربته مع الشعر الحر دفعة جديدة، وضارباً المثل في كيفية تخطي الحواجز المانعة للتجريب والتبصر والمعاصرة. فهو كما قال أحمد درويش: «لم يقف من محدثي عصره موقف المنعزل ولا الرفض، ولكنه اتصل بهم وقرأ لهم، فقد قرأ هذا الشيخ الجليل لكثير ممن كتبوا في الشعر الحر أو استخدموا تقنياته في أعمالهم الأدبية كصلاح عبدالصبور، ونزار قباني وغيرهما. وهو «لم يكتف بهذا بل تقدم بشجاعة أدبية إلى المشاركة بالإنتاج»^(١). ولم يقف عند هذا الحد من المشاركة الفعلية، بل زاد على ذلك بالمساهمة في طرح الآراء حول ماهية وكيفية هذا النوع الشعري، وبالتفريق بين الشعر وبين اللاشعر، وبتقبل «النقد ومناقشته ليقدم بذلك نموذجاً رائداً للأجيال التالية وليؤكد أن الحوار وحده هو السبيل الوحيد الذي يتطور من خلاله الأدب ويتقدم»^(٢).

الخاتمة

أوضحت الدراسة نشأة الشيخ الشاعر عبدالله الخليلي ومكانته في محيطه الثقافي والأدبي. وتناولت بالتحليل أثر البيئة في شاعريته وأثر الموروث الأدبي من شعر وفكر ونثر وعلوم دينية ولغوية على فكر الشاعر ومنهجه وعطائه الإبداعي.

ولقد بدا واضحاً إن أي محاولة لدراسة أدب هذا المبدع العماني لا ينبغي أن تتم عبر النظر إلى خطوط الدائرة التي تحيط بالعمل الإبداعي وإنما ينبغي التوغل إلى أعماقه، وهذا لا يتأتى إلا بمعرفة المؤثرات التي تتصل بالبيئة، (البيئة الطبيعية والاجتماعية)، والموروث الثقافي (كالموروث الأسري والعربي الإسلامي). فالعلاقة بين المبدع وبيئته المحيطة أو موروثه الثقافي من وجهة نظرنا علاقة طردية، إذ إن العمل الإبداعي يأتي صورة صادقه لها. كما بينت الدراسة ما للبيئة المحيطة

(١) د. أحمد درويش، الشعر الحديث، دراسة تحليلية للديوان، في ديوان على ركاب الجمهور ١٩٨٨.

(٢) المرجع نفسه.

بالخليلي والموروث الثقافي من أثر في تكوين فلسفته الأخلاقية التي حاول جاهداً أن يرسل أشعتها إلى وجدان القارئ من خلال الإبداع الأدبي في أجناسه المختلفة كالشعر والمقامة، والمقالة وغيرها .

وحرص الدارس على تفهم بيئة الشاعر، وموروثه الثقافي، يساعده على التوغل في مجاهله والغوص في أعماق مكنوناته والوصول إلى مراميه وأهدافه، والتعرف على المساحات المضيئة في فكره. كما ساعده على تتبع تفاصيل التقنيات التي استخدمها ذلك المبدع في توصيل رسائله الوجدانية والفكرية- وبالتالي بلورة اتجاهات فلسفته نحو المجتمع والكون والإنسان.

ولذا يتطلب من الدارس للإبداع أن يبذل جهداً أكبر من جهد المبدع في أثناء محاولة دراسة ذلك الإبداع ولا يكتفي بأن يبذل جهداً موازياً له. فالتوازي هنا سوف يمكنه إلى حد كبير من التعرف على فلسفة هذا الإنتاج ولكنه لن يجعله محيطاً بكل الجزئيات الفكرية، والإساليب التقنية، والأجواء النفسية، والمرامي التي تحمل طموح الشاعر وآماله ورؤيته للمجتمع في حاضره ومستقبله.

لقد ناقشت الدراسة أيضاً بعضاً من جوانب الإبداع الشعري الذي قدمه الخليلي حتى الآن. كما بينت كيفية نظرة الشاعر إلى الجمال وإحساسه به، وأثر فلسفته الأخلاقية في بلورة مفاهيم تتبنى الدعوة إلى الالتفات للجمال في مظهره العام، والإحساس بالقدرة الإلهية التي أبدعته دون إثارة مواطن الغرائز الحسية لأنها تتنافى مع مبادئ الدين والعادات الاجتماعية والعرف العام. وقد كانت غزلياته ووصفه للطبيعة لوحات مصورة هذا الاتجاه وناطقة به، يتجاوب معها شعره الديني الذي يعتبر صوت فكره وصداه.

لم يكن الخليلي مبدعاً منكفئاً على نفسه، ومحاصراً بدائرة المحلية، أو حتى الإقليمية، وإنما كان طائراً محلقاً يفرش جناحيه على ساحة الوطن العربي، يجيش

قلبه حباً، وينفجر أسى لمصاب هذا الوطن، إيماناً منه بوحدة الجسد العربي، ووحدة المصير، يحتضن قلبه وعقله وفكره مصر وفلسطين والجزائر وتونس بنفس القدر الذي يحتضن به عمان واليمن وغيرها من الدول العربية، فهو متفاعل مع واقع أمته المعاصر في عافيتها وسقامها، في أفراحها وأحزانها. إن أمته متمكنة منه نفساً ووجداناً وعطاء، ولأنه يدرك أهمية تمجيد رموز الأمة في نفوس النشء وأهمية إضاءة قيم التاريخ ليكون هادياً للأجيال ومرشداً لها في صراعها مع الزمن من أجل الحضارة والتطور والرفق، فقد صاغ الشاعر ملحمة تاريخية لتكون سفرًا فكرياً، ورمزاً وطنياً يعزف ألحان المجد والشموخ والجد والكفاح والعمل. وهو في هذا يؤكد التزامه بمبادئه الأخلاقية.

وقد تعرضت الدراسة إلى آرائه في الشعر بصفة عامة، وإلى ظاهرة الشعر الحديث (الشعر الحر) الذي يتبناه الشاعر نفسه، كأسلوب جديد يمكن استثماره في كتابة مواضيع درامية كالقصص الشعرية وغيرها، وشفع ذلك بإصدار مجموعة من القصص الشعرية بعنوان (على ركاب الجمهور عام ١٩٨٨م) مبرزاً أن المبدع لا ينبغي عليه أن يرفض الجديد لجدته ويتقبل القديم لقدمه. وإنما عليه أن يستفيد من التقنيات الجديدة التي قد تضيف إلى عمله ما عجزت عن إضافته التقنيات القديمة فالشاعر ابن عصره ووليد بيئته وموروثه.

إن مظاهر معاصرة الخليلي تتمثل في شخصيته وأدبه، فهو معاصر زمنياً لكثير من المبدعين العرب الذين أثروا الساحة في هذا القرن، ومعاصرتهم الزمكانية (الزمان والمكان) تكاد أن تنحصر في محيط بيئته المحلية التي احتضنت عدداً غير قليل من المبدعين من أبناء جيله ومن الأجيال اللاحقة لهم. ثم هناك المعاصرة الحديثة أو الوقائعية، بمعنى أنه تواجد فكرياً ونفسياً مع أحداث عصره، وتفاعل مع مجرياتها عربياً وعالمياً.

إن الخليلي مبدع يمكن تناول إبداعه ودراسته في أطروحات تقدم لنيل
الماجستير والدكتوراه، وذلك لأن إبداعه غني بكثير من الشواغل الفكرية، والثقافية
ولغته الجزلة، ثرية بالدلالات المعنوية، والإيقاعات الصوتية، والصور البلاغية،
وموضوعاته ومضامينه، وأدواته الفنية، وتقنياته الشعرية جديرة بالالتفات إليها
والاهتمام بها أكاديمياً، والنظر إليه علمياً وثقافياً وتاريخياً.

الفصل الثاني

المختارات الشعرية

تمهيد

كان من الصعب في هذه العجالة والوقت المشحون بالحرع أن نسبر كامل التجربة الإبداعية للشاعر الشيخ عبدالله الخليلي وذلك لاتساع التجربة وتمدها ولثراء المضمون وموضوعاته، ولتنوع الاتجاهات وأنماطها، وتعدد الأشكال وإيقاعاتها. فالتجربة تطوف بالقارئ بين الشعر الفلسفي والآخر الوجداني والثالث الديني الممثل بشعر السلوك والمدائح النبوية والابتهالات والتوسلات والإلهيات، فضلاً عن الشعر الوطني الذي غطى مساحة واسعة من القضايا التي تناوبت على الوطن العربي والإسلامي وهو في ذلك يخصص الأحداث للتمثيل بها ولكنه يعني الإنسان في عموم همومه ومعاناته. وأخذت الإخوانيات والاجتماعيات والوصفيات والغزليات حيزاً مهماً من تجربته الشعرية باعتبارها جماليات إنسانية، وذلك لطبيعة وضعه الاجتماعي والسياسي والديني والأدبي وثقافته.

وقد تم اصطفاء هذه المختارات من شعره المخطوط غير المنشور وأخصها ديوان «فارس الضاد». فهناك دواوين وأعمال عديدة مخطوطة وغير منشورة قد ذكرناها في المقدمة عند الحديث عن منجزه الأدبي والشعري.

هذه الباقية من شعره بالطبع لا تمثل شعره الكثير والمتنوع إلا أنها تحاول أن تشجع الباحث والدارس والقارئ على تتبع تجربة الشاعر وتحته على محاولة قراءته وتغريه بدراسة إنتاجه الواسع من المقامات إلى القصص الشعرية إلى الملاحم التاريخية، إلى الموشحات والدينيات والسلوكيات التصوفية، إلى الوطنية،

إلى الطبيعيات والجماليات. وهناك بلا شك في هذا الإنتاج الأدبي الزاخر الكثير مما يشحذ همّة الباحث، ويبعث عزم الدارس، ويحرض فكر المتلقي، ويستفز ثقافة الناقد، ويضيء بصر القارئ وبصيرته على حد سواء.

١ - الزوراء

جاذبَتْنِي نِيَاطُهَا الزُّورَاءُ
وَدَعَتْنِي إِلَى الْهُوَى عَفْرَاءُ
وَعَزَّتْنِي لَيْلَى بِقَامَتِهَا السُّمُ
رَاءُ وَالْحَبُّ صَعْدَةُ سَمْرَاءُ
وَرَمَتْنِي بِنَظَرَةٍ تَبَعْتُ الدَّف
ءَ فَأَوْمَأَتْ وَالْهُوَى إِيْمَاءُ
وَاسْتَبَاحَتْ عَقِيرَتِي وَيِرَاعِي
فَتَفَاعَلْتُ وَالْغَرَامُ كِفَاءُ
خَلَطْتُ فِي الْحَدِيثِ لَمَّا رَأَتْنِي
رُبُّ خَلْطٍ يَشِفُّ عَنْهُ ذِكَاءُ
فَتَبَيَّنْتُ سِرَّهَا وَمِنْ اللَّحْ
نِ لَذِي اللَّبِ فُطْنَةٌ وَارْتِيَاءُ
وَقَرَأْتُ السُّطُورَ وَهِيَ تَقَاسِيْدُ
مُمْ مَحَايَا فَاَضَتْ بِهِ الْآلَاءُ
وَنَشَرْتُ الْأَشْعَارَ إِذْ نَشَرْتَنِي
فِي هَوَاهَا ضَفَائِرُ سَوْدَاءُ
إِيَّاهُ عَفْرَاءُ فِي خِبَائِكَ رُوحِي
وَيَحْ رُوحٍ يَضِيقُ عَنْهَا الْخِبَاءُ

أنا لا أحسن المديح بشعري
ومديحي لمن أحبُّ دعاء
ولو أنني حاولته لكَبَا بي
فيه مُهري وعابني الشعراء
غير أنني أشدوبه بابلًا
لا هجاء عليه أو إطراء
وأناجي به العوالم والأفلا
ك وحدي والأنثى الحرَّاء
وكأنني والكون حولي جهاز
فيه كلُّ الرؤى وهمي عفاء
فتأملت في الوجود بقلبي
وتبيَّنته وعيني براء
فإذا بالحياة تسبح فيه
كالجوارى لكنَّها أشلاء
أتراني لست وضيعي فيه
أم تراني فيه وضيعي عياء
قد تطول الحياة بالمرء لكن
هل يطول الشباب منه الرِّداء؟
ويعيش الفتى عليها سعيدًا
لو تناساه شَيْبُهُ والفناء
وتراه كالطُّفل يلهو عليها
وهي تلهو به كما قد تشاء
فحذار الحياة شهدًا فعقبى
حلوها المرُّ غالبًا والبلاء
أرؤى ما يَنْتَابُني أم تراء
أم خفايا يَتِيه فيها الخفاء

شَقُّ جُنْحِ الدُّجَى كَمَا فَلَقَ الْفَجْ
 رَ وَخَاضَ الصَّلَاةَ مِنْهُ نِدَاءً
 وَاجْتَلَانِي عَلَيْهِ وَمُضَضَّةُ نُورٍ
 وَحَدَانِي وَنَفَثَتِي لِأَلَاءِ
 أَيُّهَا الشَّعْرُ كَمْ تَلَطَّفْتَ بِاسْمِي
 وَلَكُمْ قَدْ تَلَطَّفَ الشُّعْرَاءُ
 وَحَدَوْتَ الْيِرَاعُ وَهُوَ بِكَفِّي
 فَإِذَا بِالْيِرَاعِ وَهُوَ حِدَاءُ
 وَإِذَا بِالسُّطُورِ مِثْنِي فَمِثْنِي
 قَسَمَةُ الْخُيَّارِ وَالْبَيَانِ اجْتِلَاءُ
 وَأَنَا تَحْتَ نَيْرِ تِلْكَ الْقَسَامَا
 تِ جَوَادُ قَدْ هَدَّهَ الْإِعْيَاءُ
 أَتْرَانِي وُلِدْتُ لِلشُّعْرِ أَمْ لِي
 وُلِدَ الشُّعْرُ وَالْبَطُونُ ضِيَاءُ
 أَمْ لِحِصَانٍ يِقْتَنِيهِ جَوَادًا
 فَوْقَ مِضْمَارِهِ كَمَا قَدْ يَشَاءُ
 وَيَرُوِّضُ الْفَوَادَ مِنْهُ لِمَغْزَاهُ
 وَفِيهِ رَأْيُهُ الْمَعْطَاءُ
 يَا لِقَوْمِي عَجِبْتُ مِنْ ثَمَرِ الشُّعْرِ
 رَ كَزَهْرِ الدَّفْلَى وَلَا إِيْتَاءُ
 قَدْ مَلَأْتُ الدَّوْبَ فِيهِ كَأَنِّي
 مَسْتَهَامٌ عَنَّتْ لَهُ الْحَسَنَاءُ
 وَبِرَانِي السَّبَاقُ فِي هَذِهِ الْحَلِ
 بَةِ وَالسَّيْرِ ثُمَّ وَالْإِسْرَاءُ

يا لقومي والله يحفظُ قومي
فيمَ هذا الخلافُ والضَّوضاءُ
تمتَرونَ الأطباءَ منه فلا كما
نَ ولا كانَ تِلْكَمُ الأطباءَ
عَضُّنَا دَهْرُنَا وما أنْفَكُ حتى
قَضَمْتُنَا نُيُوبُهُ الحمرَاءُ
قد بكينا على فلسطينَ والقُدْ
سِ وهذا لبنانُ وهو دماءُ
يشرقُ الفجرُ بالقذائفِ فيه
وأغانيه يجتليها المساءُ
يا دماءَ عليه يريقها الظُّلُ
مُ و(صَبْرًا) تبكي و(شَاتِيلاءُ)
وميادينَ لَهُوهِ تجمعُ الرُّفُ
حَصَ عليه رجالُهُ والنِّساءُ
طربُ صاخِبُ وقتلُ ذريعُ
واحتلالُ لأَرْضِنَا وغِناءُ
يا لقومي (إِنْ) تنصروا اللهَ يَنْصُرْ
كُفُ) وللهِ بالوعودِ وفاءُ
فَبَدَارَا إِلَيْهِ فِي النُّحْلَةِ السَّمِ
حاءُ فهي السَّيَادَةُ القَعَسَاءُ
فَقَدِيمًا بِهَا نَصِرْتُمْ عَلَى الخَصِ
مِ وَسُدُّتُمْ بِهَا وَعِزَّ اللَّوَاءِ
وبها قُدُّتُمْ الحَيَاةَ إِلَى اللِّ
هِ وَأَنْتُمْ مِنْ فَوْقِهَا عُظْمَاءُ

وَرَبَطْتُمْ بِهَا نِيَّاطَ الْمَعَالِي
فَعَلَوْتُمْ وَالْكَائِنَاتُ وَلَا
يَا لِقَوْمِي هَلْ كُنْتُمْ غَيْرَ فِدَا
دَيْنٍ مِنْ قَبْلِهَا لَهُمْ كَبِيرَاءُ
بَعْضُهُمْ تَحْتَ قَيْصِرِ الرُّومِ وَالْبَغْ
خُ لِكَسْرَى وَالْبَعْضُ ثُمَّ انْتِخَاءُ
فِي مَوَاضٍ لَلْأَقْوِيَاءِ ظُلُومِ
لِدِمَاءٍ مَحَرَّهَا الضُّعْفَاءُ
يَقْتُلُ الْأَكْبَرُ الصَّغِيرَ كَحَكَمٍ: «الـ
غَابِ وَالْبَحْرُ»: وَالْقَتِيلُ الْإِخَاءُ
تَتِمَّارُونَ فِي الْحَيَاةِ إِلَى أَنْ
بُعِثَ الْمُصْطَفَى فَنَزَلَ الْمِرَاءُ
فَاتَّخَذْتُمْ وَكُنْتُمْ يَدًا أَيْدٍ
لَمْ تَطْلُهَا يَدٌ وَلَا عَلِيَاءُ
أَخَذِعْتُمْ مِنْ دُونِهَا فَاخْذَعَتْكُمْ
وَعَلَى الْخَذَعِ يَقْتُلُ الْأَبْرِيَاءُ
فَخَذَلْتُمْ وَذَاكَ أَسْوَأُ مَا يُفْـ
نَى بِهِ الْمَرْءُ إِذْ يَحُمُّ الْقَضَاءُ
وَنَكَضْتُمْ وَقَلَمَّا يَنْكُصُ الْحُرُّ
رُبُّ بَقْصِدٍ وَعِنْدَهُ الْآرَاءُ
فَرَمِيْتُمْ بِطِينَةِ الْغُرْقِ الْقَا
تَلْ فَرَعُونَ إِذْ حَوَاهُ الْمَاءُ
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ تَقْوَى الْـ
لِلنَّاسِ جَنَّةٌ وَاحْتِمَاءُ

٢- رِبَاه

رِبَاهُ تَوْبَةٍ مَذْنِبٍ خَطَاٍ
أَتَاءَ مَعْصِيَةٍ بِلَا اسْتِحْيَاءٍ
يَعْصِيكَ مَنِتْهَكًا فَيَرْجِعُ نَادِمًا
فَيَتُوبُ ثُمَّ يَعُودُ دُونَ حَيَاءٍ
أَتُرَى يَتُوبُ بِغَيْرِ رَجْعٍ بَعْدَهَا
أَمْ تِلْكَ تَوْبَةٌ مَسْرُوفٍ خَطَاٍ
رِبَاهُ تَوْفِيقًا لِعَبْدٍ طَالَمَا
جَنَحَتْ بِهِ الْأَهْوَاءُ لِلْأَهْوَاءِ
وَفَقَّهُ لِلتَّوْبِ النَّصُوحَ وَخُذْ بِهِ
عَنْ خَطِيئِهِ لِمَوَاقِبِ الصُّلَحَاءِ
وَأَعِزَّهُ لِلنَّهْجِ الْقَوِيمِ لَعَلَّهُ
يُفْضِي إِلَيْكَ بِزَمْرَةِ الشُّهَدَاءِ
التَّائِبِينَ الْعَابِدِينَ الذَّاكِرِينَ
مَنْ اللَّهَ فِي السَّرَّاءِ وَالْخُرَّاءِ
النَّاصِرِينَ اللَّهَ بَيْنَ صَفُوفِهِمْ
لَا يَبْتَغُونَ بِذَلِكَ مِنْ إِعْلَاءٍ
لَا يَبْتَغُونَ سِوَى الشَّهَادَةِ وَالرِّضَا
مِنْ رَبِّهِمْ وَمِنْ أَزَلِ السُّعْدَاءِ
يَتَسَابِقُونَ إِلَى اللَّقَا شَوْقًا كَمَا
تَتَسَابَقُ الظَّمَى لِعَذْبِ الْمَاءِ

فترَاهُمْ تَحْتَ السُّيُوفِ تَنُوشُهُمْ
كَالْعِهْنِ أَشْلَاءَ عَلَى أَشْلَاءَ
رَبِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ تَوْبَةً مُقْبِلِ
عَنْ غِيٍّ مَتْنِدِمٍ رَجَاءَ
قَطَعَ الْحَيَاةَ كَأَنَّهُ فِي لَجَةٍ
بَيْنَ الْمَعَاصِي وَالْهَوَى الْحَدَاءِ
لَا يَعْرِفُ الْإِقْلَاعَ إِلَّا رِيثَمَا
يَفْضِي لِمَنْزَلِقٍ مِنَ الْأَسْوَاءِ
حَتَّى رَأَى الرَّحْمَنَ فِي مَلَكُوتِهِ
يَرْنُو إِلَيْهِ بِنَظَرَةِ الرَّحْمَاءِ
يَرْنُو إِلَيْهِ لَكِي يَنْزِرَ طَرِيقَهُ
بَيْنَ الْهَدَى وَالْمَسْلَكِ الْوَضَاءِ
رَبَّاهُ تَوْبَةً نَادِمٌ يَبْكِي عَلَى
مَا كَانَ فَرَطَ فَيْكٍ مِنْ أَخْطَاءِ
يَبْكِي ذَنْوبًا جَمَّةً لَوْصُفِ فُتْ
لَمَشَى عَلَيْهَا الدَّهْرُ دُونَ حِذَاءِ
وَلَمَثَلْتُ جَسْرًا يَقُومُ عَلَى الْهَوَا
فَمَنْ الرُّكِيْزَةُ فِي السَّحِيْقِ النَّثَائِي
إِنْ كَانَ يَمْحُوهَا التَّنْدِمُ وَالْبَكَاءُ
وَالْتَّوْبُ فَهُوَ بِذَلِكَ غَيْرُ مَرَاءِ
أَوْ كَانَ حُبُّ اللَّهِ يَمْحُوهَا فَقَدْ
أَحْبَبْتُكَ اللَّهُمَّ دُونَ رِيَاءِ
أَحْبَبْتُكَ اللَّهُمَّ حُبُّ مُؤَلِّهِ
دَامِي الْقَرِيْحَةُ دَائِمَ الْأَنْوَاءِ

أَحَبَبْتُ فِيكَ مُحَمَّدًا خَيْرَ الْوَرَى
مَنْ حَبَّبَهُ يُشْفَى مِنَ الْأَدْوَاءِ
أَحَبَبْتُ فِيكَ الْمُرْسَلِينَ جَمِيعَهُمْ
وَالْأَنْبِيَاءَ وَمَعْشَرَ الْعُلَمَاءِ
أَحَبَبْتُ فِيكَ الصَّالِحِينَ وَمَنْ تَلَا
أَعْقَابَهُمْ فِي مَشْرِقِ الْأَلَاءِ
فَاحْشِرْنِي اللَّهُمَّ فِي مَضْمَارِهِمْ
وَلَوْ أَوْهَمَ بَيْنَ الصُّفُوفِ لَوَائِي
وَاقْبَلْ بِحُبِّهِمْ مَتَابِي وَاعْفُ عَنِّي
وَارْحَمْ تَضَرَّعَ عِبْرَتِي وَبِكَائِي
رَبِّاهُ إِنَّ يَكُ قَرْضُ شَعْرِي عَائِقًا
إِيَّايَ عَنْكَ فَلَيْسَ مِنْ تَلْقَائِي
لَكِنِّي نَوْدَيْتُ مِنْ جَنْبَاتِهِ
فَأَجَبْتُ دُونَ تَلَكُّنٍ وَعَنَاءِ
فَالذَّنْبُ ذَنْبِي إِذْ أَجَبْتُ وَكَانَ لِي
دُونَ الْإِجَابَةِ نَفْرَةُ الْكِرْمَاءِ
فَاغْفِرْ لِي اللَّهُمَّ مَا فَرَّطْتُهُ
فِيهِ بِجَنْبِكَ أَعْظَمَ الْعِظْمَاءِ
رَبِّي أَتَوُبُ إِلَيْكَ مِنْ قَوْلٍ جَرَى
فِي مَقُولِي كَالسَّابِقِ الْعِدَاءِ
فَأَصَابَ غَتًّا أَوْ سَمِينًا عَامِدًا
أَوْ مَخْطِنًا بِالْكَلِمَةِ الشُّنْعَاءِ
وَاعْفِرْ خُطَايَ مَشَتْ بِدُونِ إِرَادَةٍ
أَوْ بِالْإِرَادَةِ وَالتَّسْرَعِ دَائِي

واغفر نويايَ التي قد نُفِذْتُ
 أو لم تُنْفَذْ والضَّلَالُ ردائي
 وارحم يداً بَطَشْتَ بدون تَبَصُّرٍ
 فأصابتُ الأبشار بالإيذاء
 وارحم إلهي كلَّ سِرٍّ زَاغٍ عن
 نهج الهدى وألحَّ في الإغواء
 وارحم وحقَّك كلَّ جهرٍ شانهُ
 طيشُ الصَّبا وتخبُّطُ العشواء
 وارحم أموراً قد أتيت بخيرتي
 أو دونها أشتاك كُلَّ شقاء
 لبيكَ ربِّي قد سمعتُ على الخفا
 منك النَّدَا فاسمع خَفِيَّ ندائي
 وأقلِّ عِثاري يا كريمٍ وزكَّني
 واقبلْ نصوحاً توبتني ودعائي
 واجعلْ صفا حبيكَ ربِّي شاغلي
 عن كلِّ ما في الكون من أشياء
 واختم حياتي بالسَّعادة والرِّضا
 والقربِ منك فإنَّه إعلائي
 وإذا قَضَيْتَ بطول عمري فليكنْ
 فيما تُحِبُّ وأنتَ ربِّي الرَّائي
 واكتبْ لي الرِّزْقَ الحلالَ ولا تَدَعْ
 عندي لحُرْمٍ قَطُّ من إبقاء
 ودِّرِ الشِّفا مِنْ كُلِّ داءٍ سيدي
 في العمرِ يصحِّبني بلا استثناء

واجعل حياتي صحة وسعادة
في طاعة الرحمن ذي الآلاء
لأفرض ختم المسك يعبق بالشذا
مُنَزَّلُ الْبَرَكَاتِ بِالْأَنْاءِ
يُزْجِي الصَّلَاةَ عَلَى الرَّسُولِ وَآلِهِ
وَالصُّحْبِ أَهْلِ النَّحْلَةِ السَّمَاءِ

٣ - الجلال

بَرَزَ الْجَلالُ وَفِي يَدَيْهِ لِوَاؤُهُ
فَبَدَتْ عَلَى وَجْهِ الْعُلا سِرَاؤُهُ
وَمَشَى السَّلَامُ عَلَى جِماهُ كَأَنَّهُ
بَدَرٌ تَكاملَ فِي الوجود ضِياؤُهُ
وَتَجَسَّمتْ حركاته فَكأنَّها
عَصَبُ الْفِياالقِ هَزْهَنَ نِداؤُهُ
وَبَدَتْ تَرْفَرُفُ تَحْتَ أَجْنَحَةِ السَّما
فَوقَ الْخَلِيجِ وَعَرْشِها دِماؤُهُ
دَوْلٌ تَرْبِعتُ الْخَلِيجَ مِكانَهُ
فَكَأنَّها تَحْتَ السَّما سِماؤُهُ
دَوْلُ الْخَلِيجِ وَلِدَتْ فِي مِهادِ الْهَدى
فَأَضاءَ مِنْكَ عَلَى الْوَرى أَضْواؤُهُ
دَوْلُ الْخَلِيجِ إِلى التَّكَاتُفِ إِنَّهُ
ثَمَرُ الْهِدايَةِ كَمَ حَلا إِيتاؤُهُ
دَوْلُ الْخَلِيجِ إِلى التَّعاونِ إِنَّهُ
أَصْلُ النَّجَاحِ وَأَنْتُمْ خَبِراؤُهُ
دَوْلُ الْخَلِيجِ خَلِيجُكُمْ يَدُ قوَةٍ
فِياها الْجَلالُ وَعِزُّهُ وَبِهاؤُهُ

فَيَدُ الْخَلِيجِ يَدُ الْهَدَايَةِ وَالتُّقَى
بِالنَّصْرِ مَعْقُودٌ عَلَيْهِ لَوَاؤُهُ
وَيَدُ الْخَلِيجِ يَدُ السَّلَامِ لِمُسْلِمٍ
وَعَلَى الْعَدُوِّ فَبَأْسُهُ وَشَقَاؤُهُ
هَذَا عُمَانُ وَشَعْبُهَا وَمَلِكُهَا
لَكُمْ تَحِيَّةٌ وَآمِقٌ وَثَنَاؤُهُ
يَسْتَقْبِلُونَكُمْ بِالْحَفَاوَةِ وَالْوَفَا
وَالْبِشْرِ يَشْرِقُ بَيْنَهُمُ لَأَلَاؤُهُ
وَكَأَنَّمَا (قَابُوسٌ) بَيْنَ ضِيُوفِهِ
طَوْدٌ أَشْمٌ وَحَوْلُهُ نَظَرَاؤُهُ
يَا خَادِمَ الْحَرَمِينَ يَا (فَهْدُ) الَّذِي
سَمَكَتْ بِهِ سَمَكُ الْعُلَى عَلَيَاؤُهُ
يَا نَجْلَ (أَحْمَدَ جَابِرِ) الشُّهُمِ الَّذِي
زَانَ الْكُوَيْتَ سُمُوءُهُ وَإِبَاؤُهُ
(عِيسَى) عَلَى الْبَحْرَيْنِ مَنَنْبَتُ عِرْزِهِ
أَسْعَدَ بَعْرَشَكَ حِينَ طَالَ بِنَاؤُهُ
وَعَلَى (خَلِيفَةٍ) فِي رُبَا قَطْرِ الثَّنَا
حَيْثُ السُّمُوءُ وَعِزُّهُ وَعِلَاؤُهُ
وَعَلَى الْإِمَارَاتِ الْفَتْيَةِ (زَايِدُ)
لِلَّهِ زَايِدٌ، بِأَسْهُ وَسَخَاؤُهُ
حَكَامُ ذِي الدُّوَلِ الْفَتْيَةِ أَنْتُمْ
لِلْمَجْدِ فِي هَذَا الدُّنَا كِبَرَاؤُهُ
عَظُمَتْ عَلَيْكُمْ أَنْعَمُ الْبَارِي فَلَا
إِلَّا جَزِيلَ الشُّكْرِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ

فَثَبُّوا بِتَأْيِيدِ الْإِلَهِ وَنَصْرِهِ
فَالنَّصْرُ مِنْهُ لِنَاصِرِيهِ حَبَاؤُهُ
«وَقُلْ أَعْمَلُوا» لِيَرَى الْإِلَهُ بَعِيْنَهُ
أَعْمَالَكُمْ فَتَنَالَكُمْ نِعْمَاؤُهُ
وَخُذُوا إِلَيْهِ سَبِيلَهُ فَسَبِيلُهُ
مُفَضِّلٌ إِلَى الْقَصْدِ الْعَزِيزِ إِتَاؤُهُ
وَتَوَحَّدُوا فِي ذَاتِهِ صَفًّا عَلَى
أَعْدَائِكُمْ فَهُمْ هُمْ أَعْدَاؤُهُ
وَخُذُوا بِمَا جَاءَ الْكِتَابُ بِهِ وَلَا
تَقْفُوا سَوَاءَ فَنَاتِمُ إِيْوَاؤُهُ
وَاللَّهُ يَجْمَعُكُمْ بِمَائِدَةِ الصَّفَا
حَيْثُ الْقُرْآنُ وَهْدِيْهِ وَشَفَاؤُهُ
يَا سَاسَةَ الْعَرَبِ انْظُرُوا فِي هَدِيْكُمْ
تَجِدُوا التَّخَايَ وَاجِبًا إِيْتَاؤُهُ
لَا فَرْقَ بَيْنَ الْيَعْرُبِيِّ وَغَيْرِهِ
هَذَا الْهَدَى فِي جَبْرِكُمْ إِنْشَاؤُهُ
فَالْمُسْلِمُونَ يَدُّ عَلَى مَنْ دُونَهُمْ
قَالَ الرَّسُولُ وَحَسْبُكُمْ إِطْرَاؤُهُ
وَاللَّهُ يَخْتَمُ بِالسَّعَادَةِ وَالرَّضَا
فَخُذِلَ اجْتِمَاعُكُمْ الْكَرِيْمُ وَقَاؤُهُ
٢٨ سبْتَمْبَرِ ١٩٨٩م
٢٧ صَفَرِ ١٤١٠هـ

٤ - الحمول

هذه هذه حمولُ الحبيبِ
لكمُ اللهُ إثرها فاقْتَفُوا بي
ودعوني أهيمُ في كلِّ وادٍ
خلفها بين لوعتي ونحيبي
أكتبُ الحبَّ في الفضاء سطورًا
مشرقاتٍ لسائلٍ ومُجيب
وأنادي الحبيبَ وهو أمامي
وورائي مخاوفي ولغوبي
ومن الأرض للسماء بريدُ
عن لساني على جناحي أديب
والجمادات لا تكفُّ عن النُّط
بقِ إذا كفَّ مقولٌ من أريب
وصباحٌ يمضي وآخرُ يأتي
ومساءً على مساءٍ رهيب
وأنا أمتطي الزَّمانَ وإن كُنْتُ
تُ أعاني من شفرتيه نُدوبي
أركبُ الجدَّ فيه رُحَلَيْنِ رحلي
من أقاسيم شاعرٍ موهوب

رحلة الصَّيفِ والشَّتاءِ ومُهرى
موغلٌ في شمالها والجنوب
وكانَ الدُّنيا حوالِي سطرٌ
من حروفٍ توحى بكلِّ عجب
وكانَ السَّماءُ وهي نجومٌ
تتجلى عنها عيونُ الرُّقيب
وكانَ الفضاءُ خيمةً عُرِسَ
عُرْسَتُ حولها حداةُ القلوب
وكانَ النَّسيمُ في حافتَيْها
نفحةً من رداءِ غِيدٍ لَعُوب
وكانَ المِياةُ تنسابُ فيها
نَفَسُ الرُّوحِ أو جلاءِ الكروب
وكانَ الأرضُ التي نعتاها
قبضةً من محاسنِ وعيوب
وكانَ الحسانَ بين رباها
طيبٌ عَرِفَ أو لمسةً من طيب
وكانَ الرِّجالُ فوق ثراها
شدُّ قاسٍ أو عطفة من رطيب
وكانَ العلیمُ منهم نبیُّ
جاء بالوحي عن قريبٍ مجيب
وكانَ الأديبُ نغمةً شادٍ
في ترانيمِ حلوةِ الأسلوب
وضروبُ الحياة نفحٌ لذیَّا
كَ وهذا عليه لفحٌ لهيب

يا لَوْدَيِّ مالِي وَلِلدَّهْرِ يَشْكُو
ني وَأَشْكُوهُ فِي الْعَدَاءِ الرَّهِيْبِ
فَكَأَنِّي فِيهِ نَبِيٌّ سَلَامٍ
وَعَدُوُّ السَّلَامِ غَيْرُ غَرِيبٍ
وَكأَنِّي وَاللَّهِ نَصَبٌ عَيْوَنِي
لَمَعَةُ النُّورِ فِي الْجَبِينِ الرَّحِيبِ
وَكأَنِّي وَاللَّهِ مَلَأَ ضَمِيرِي
نَسْمَةُ الْفَجْرِ عَنْ قَرَارَةِ طَيْبٍ
وَكأَنِّي وَالنُّورُ يَغْمُرُ قَلْبِي
مَلَكٌ فِي تَسْبِيحِهِ الْمَرْغُوبِ
وَكأَنِّي وَالِدَّهْرُ حَرْبٌ وَسِلْمٌ
قَسَمَاتُ الرَّاظِي وَنَابُ الْغَضُوبِ
وَكأَنِّي وَالْحَادِثَاتُ يَمِينِي
وَشِمَالِي مَاضٍ بَعِزَمِ دُؤُوبِ
وَكأَنِّي وَالْكُونُ مَدُّ وَجْزٍ
زَوْرَقٌ بَاتَ مَوْجُهُ يَرْتَمِي بِي
وَكأَنِّي وَالْعَيْشُ حُبٌّ عَمِيقٌ
فِي فَوَادِي مَطِيئَةٍ مِنْ ذُنُوبِ
وَكأَنِّي وَالشَّرْقُ مَهْدِي غَرْبِي
يَا عَمِيقُ التَّفْكِيرِ غَيْرَ مُعِيبِ
وَكأَنِّي وَالْغَرْبُ حَلَبَةُ خَيْلِي
عَنْتَرِي مَبَارَكُ التَّهْذِيبِ
وَكأَنِّي وَالشَّعْرُ يَطْرُقُ بَابِي
حَاتِمٌ لِلْقَرَا وَلِلتَّرْحِيبِ

يا ابن ودِّي إن شئتَ تعرفُ حَدِّي
فأنا بين سالبٍ وسليب
أتحدِّي في عاديّاتي شمالي
وأباري في سابقاتي جنوبي
وأنا بين ذا وذاك خيالٌ
غارقٌ في مناجم التَّنقيب
أبحث الأرض عن خيالي وقد ضا
عَ بها بين هائبٍ ومهيب
وأُنادي سِرْبَ السَّلامِ حمائمًا
وهو خاويٌّ بين النُّيوب
يا تراني أضيع ثمَّ سرايًا
ولَكم قد أجبتُ صوتَ مهيب
ولكم قد قرأتُ دهري وأقرأ
تُ النُّهى في مدارس التَّدريب
ودرسُ السَّلام والحرب والإسـ
لام والشُّرك في شبابٍ وشيب
فجناني مشكاةُ طور التَّجلي
ولساني خليةُ اليَعسوب
ولَكم قلتُ والمجازُ عناني
وورائي حقيقتي ودروبي
يا لدهري إذا سنحت بفجري
فأنا منك سابعٌ بالمغيب
هكذا هكذا الجلالُ الرَّبوبيُّ
يُ فما أروعُ الجلالُ الرَّبوبي

٥ - العارية

مَنْ عَذِيرِي إِذَا أَعَزْتُ كِتَابِي
فَأَتَانِي مَمْرَقَاتُ ثِيَابِهِ
وَعَلِيهِ مِنَ الْمَدَادِ تَعَارِي
سُجَّ بِهَا شَانَ قِشْرِهِ وَلِبَابِهِ
وَاخْتَفَى عَنْ عَيُونِ رَأْيِيهِ بِالتَّش
وِيهِ سَطَرٌ فِيهِ فِغَارُ طِلَابِهِ
وَقَلْبُنَا فِلَاحَ سَطَرٍ وَسَطَرٍ
زَادَ مِنْهَا عَلَى الْكِتَابِ مَصَابِهِ
غَيْرَ أَنَّي مَسَحْتُهِ بِمَدَادٍ
أَبْيَضَ اللَّوْنِ كَاللُّجَيْنِ لُعَابِهِ
وَلَوْ أَنَّي تَرَكْتُهُ مِثْلَ مَا عَا
دَ فَأَبْصَرْتَهُ لَكِدْتُ تَهَابِهِ
أَفْتَرَضَى لَهُ الْإِهَانَةَ قَلَّ لِي
أَيَّهَيْنُ الْأَحْرَارُ عَالِ جَنَابِهِ
فَمَلَامٌ لِمُسْتَعِيرِ كِتَابِي
عَاثَ فِيهِ، وَمُسْتَعَارُ كِتَابِهِ

٦ - سل الحب

سَلِ الحُبَّ عن عهدي وإن كنتُ غائبًا
وقُم بي أناجيهِ وإن كان غاربًا
وخذني إليه كي أنام بجنبه
ولو عارضتني النِّيراتُ عواتبًا
ودَعُوهُ بأحضانِي ينامُ مهنئًا
ودعني على دأَمائه الدَّهر قاربًا
لأركبَ من شوقي جموحًا عليه إن
طغى بي كُنَّا ثمَّ قلبًا وقالبا
أجاذبهُ ثني العنان كأنما
أجاذبُ جذعًا للآتي مغالبا
وأهفو به والليلُ حيرانُ لا يعي
كأنَّ شُرْبَ الصُّهبا ولم يألُ شاربًا
وشيقةٌ باتتَ تحنُّ كأنها
تطارِدُ سِقبا ظلُّ في البید هاربًا
يدافعها شوقٌ مُلحٌ وكلُّما
تمنَّتُ أطاحتها الأمانِي جانبًا
تَحِنُّ إلى لِقيا حبيبِ نأى وما
نأى قالِيًا عن خِدرِها أو مجانبًا

٧ - عالم الخيال

دَعُوكَ فِي عَالَمِ الْخِيَالِ تَغِيْبُ
وَانْتَهَزَهُ وَالْعُودُ مِنْكَ رَطِيْبُ
ثُمَّ خَلَّ الدُّنْيَا تَدْوِرُ عَلَيْهِ
فَهُوَ كَالشَّمْسِ مَطْلَعٌ وَمَغِيْبُ
وَابْنِ صَرْحِ الْأَحْلَامِ فَوْقَ ذِرَاءِ
إِنَّ صَرْحَ الْأَحْلَامِ شَيْءٌ عَجِيْبُ
وَتَمْتَعُ بِهِ إِذَا أَدَكَ الْجِدُّ
سُدَّ فَلِلْجِدِّ نَزْوَةٌ وَلِغُوبِ
وَتِيْقِظْ وَأَنْتَ تَمْرَحُ فِيهِ
لَا يَغُرُّكَ مِنْهُ ضَافٍ قَشِيْبُ
لَا يَغُرُّكَ مَبْتَلَى الْحَبِّ إِنْ قَا
لَ وَفِي الْقَلْبِ لِلْغَرَامِ لَهِيْبُ
أَنَا نَوَهْتُ بِالْحَبِيْبِ كَمَا نَوَّ
هَ قَبْلِي بِهِ الْمَشْوَقُ الْغَرِيْبُ
وَتَغْنَى عَلَى عَقِيْرَتِهِ الْعُشَا
قُ لَحْنًا بِهِ الْقُلُوبُ تَذُوبُ
وَاسْتَهْلُوا بِهِ الْبَيَانَ وَلَكِنْ
نَزَعَاتُ الرِّجَالِ فِيهِ ضُرُوبُ

فلاحسان نزعهُ وسواها
 لسواهُ وإن تناءت دروب
 حينما هامَ بالمليح رجالُ
 ورجالٌ تحت البنود أصيبوا
 ما حبيبي ترى ومن هو سلني
 إنَّه الماجدُ الأغرُّ الوهوب
 لا أبالي أكان ربُّ يراعٍ
 أو حسامٌ له فرند خضيب
 أو سخيًّا أربى على البذل جودًا
 أو لبيبًا وأين منا اللبيب
 أو فصيحًا أو ماجدًا عبقريًّا
 عبقرتُهُ الأيام فهو نجيب
 فمضى ساعيًا إلى المجد حتى
 ناله والمجسُّ منه صليب
 ثم بَرَّ السَّباق في حلبة الفخ
 ر فله منه عزمٌ رهيب
 فبهذا ومثله يُنصَرُّ الديـ
 نٌ وتهوي إلى جماه القلوب
 وَيَفْضُ الختامُ مِسْكَ صَلَاةٍ
 في شذاها من طيب أحمد طيب

٨ - طائرُ الشَّوقِ

يا طائرَ الشَّوقِ ما بينَ الثَّنِيَّاتِ
رَجَّعْ بِأَلْحَانِكَ السَّمَرَاءَ أَهَاتِي
وانشرِ كتابَ الأغاني لحنَ صادحةٍ
على تراجعِ أنغامٍ وأناتٍ
وقُفِّعْ على رأسٍ محتارٍ تهيم به
أشواقه بين أهاتٍ ولوعاتٍ
وانقر بهامته الأوتارَ هادئةً
لعله يرعوي من سُكْرِهِ العاتي
فإنَّ صحا فاعداً في آثارِ صحوته
عدوَّ المتيم خلف النَّيرِ الشَّاتي
عساه يلوي عنانَ الجيدِ منتنياً
إليك في مرهفِ الأسماعِ نصَّاتٍ
هناك عرَّضَ بـ(لِليلى) أو شبَّهتها
واكسرَ يَراعَكَ دون الوصفِ والذَّاتِ
واسمَعْ تواقيعَ أنغامِ الدُّمُوعِ به
تردَّدَ اللَّحْنُ في شدوٍ وإنصاتٍ
تقولُ والليلُ يزجي مانوَّيته
والفكرُ يعثرُ في ماضٍ وفي أت

أَيْنَ الْأَلَى سَكَنُوا قَلْبِي فَكَانَ لَهُمْ
عُشًّا تَعِيشُ بِمَحْنَاهُ مِلْدَاتِي
مَا بِالْهَمِّ غَادِرُونِي هَلْ تَرَى غَدْرُوا
حَاشَا وَرَبِّي فَهَمُ أَهْلِ الْمُرُوءَاتِ؟
إِنْ خَلَّفُونِي أَسِيرًا بَيْنَ أَرْوَاقِ
تَشْكُو الَّذِي أَنَا أَشْكُو مِنْ صَبَابَاتِي
أَقْضِي اللَّيَالِي وَرَاءَ الشُّوقِ يَفْزَعُنِي
مَا بَيْنَ جِدْرَانِ دَارِي رَجْعُ أَنْاتِي
كَأَنَّني وَخِيَالَاتُ تَسَامِرُنِي
ذُو جَنَّةٍ فِي جِيُوشٍ مِنْ صَبِيَّاتٍ
يَا أَلْفَ ذَكَرِي وَذَكَرِي كُلَّمَا خَطَرْتُ
بِخَاطِرِي غَبَّتْ مِنْهَا فِي غِيَابَاتِي
فَلَمْ أَفُقْ مِنْ تَعَاظِي كَأْسٍ خَمَرْتَهَا
وَلَنْ أَفِيْقَ وَمَا جَدَوِي إِفْأَقَاتِي
وَحَمَرُهَا مِنْ دَمِي الْغَالِي وَأَكْوُسُهَا
مِنْ طِينَتِي وَهَوَاهَا مِنْ هَوَايَاتِي
مَا بَالُ دَهْرِي يَنَاجِينِي بِهَا فَإِذَا
مَا غَبَّتْ فِيهَا صَرَى أَسْبَابُ لَذَاتِي
وَالصُّبْحُ يَسْتَرْهَا عَنِّي بَغْرَتَهُ
وَاللَّيْلُ يَكْتُمُهَا لَكِنْ بِطِيَاتِي
يَا مَنْ أَوْدُ أَنَا فِي الْحُبِّ أَنْتَ وَمَا
أَرَاكَ تَنْكُرُ هَاتِيكَ الْحَقِيقَاتِ
غَصْنَيْنِ زَكَاةًمَا الْبَارِي بِدَوَحَتِهِ
فَأَثْمَرُ الْحُبِّ فِي رَوْضِ اللَّقَاءَاتِ

تَرَعْرَعَا ذَاكَ مَشْدُودٌ بِذَا مِقَّةٍ
وَذَا بِذَاكَ عَلَى لُطْفِ الْمَشِيئَاتِ
لَمْ يَشْرِبَا غَيْرَ كَأْسِ الْحُبِّ مُثْرَعَةً
وَلَا نِدَامِي سِوَى شَدُوِّ الْمَسَرَّاتِ
يُوزَعَانِ الدُّجَى ضُمًّا وَأَغْنِيَةً
حَيْنًا وَتَبْتِيلِ أَذْكَارِ خَفِيَّاتِ
تَرَاهُمَا فَتَرَى الْبَدْرَيْنِ قَدْ لَبَسَا
مَعَ هَالَةِ الْبَدْرِ عَقْدًا لِلْمَجَرَاتِ
لَمْ تَلَفِ فِي النَّاسِ مَحْبُوبَيْنِ مِثْلَهُمَا
كَالْمَاءِ وَالرَّاحِ فِي مَحْوٍ وَإِثْبَاتِ
فَكُلُّ حُبٍّ إِذَا طَالَ الْمَقَامُ بِهِ
يَذْوِي وَحُبَّهُمَا غَضُّ النُّضَارَاتِ
تَقْوَى أَوَاصِرِهِ مَا الْمَكْثُ طَالَ بِهِ
وَطَاوَعْتَهُ لِيَالِيهِ الطَّوِيلَاتِ
فَلِيَحْمِدَا اللَّهَ مَا عَاشَا فَإِنَّهُمَا
تَفِيًّا ظَلُّ أَفْيَاءِ الْعَنَائَاتِ
وَلِيَكْتُبِ الْخِتْمُ مِسْكًَا فِي جِبَاهِهِمَا
يَفْتَضُّهُ مَحْرَمٌ مِنْ غَيْرِ مِيقَاتِ

٩ - المطوق

خذا حدثًا من مبتلى متعمق
يذوب فتيلًا عن سراج مُحرق
تجاذبه قصدًا إلى الله غايةً
ويدفعه شوق شديد التعمق
وتنأى به الآناء في سبحاتها
ليسبح في بحر من النور مُغرق
وينسج من شمس النهار جلابيًا
يضيئ سناها بين غربٍ ومشرق
فيلبسها المهموم في الصبر للبلأ
فيفرج عنه كل ما كان يتقي
ويهفوبه لله في الله وحده
جموح إذا ما ساجل الدهر يسبق
فلا تجتلي غاياته لمحقق
ولا تبتلى آياته لمدقق
وينأى به عن حفرة الوهم حافر
كهاون صوان لَمَّا يَرْمُ يفلق
يُلَخِّصُ في مسراه القصد قصةً
يَقْصُ هَواها للغراب المطوق
وينشرها للريح تهوي على الفضا
بأجنحةٍ لو لم تَطِرْ لم تُصَفِّقْ

ويشدو بها للصَّقر خلف جناحه
 ليسري بها كالبارق المتألق
 وينشرها الليل بين خيوطه
 ليحلم منها مطرفاً من تألق
 وذي درّة لم تعصه قَطُّ في هوى
 ولكنها ترعاه رعي التّفنق
 تبيت تداجيه فيدجو بها الهوى
 وتغدو تحييه بقبلة شيق
 كذلك كانت والزّمان بواسع
 تدور رحاه تارة وبضيق
 فشاخ وشاحت عنه تلوي بجيده
 لتصرفه لكن بأعذب منطق
 وبات يُداجيها بأخلاقٍ ماجدٍ
 كريمٍ حلِيمٍ الطّبع ليس بأخرق
 يحوط حماها منه جيشٌ عَزْمُرم
 يحطم عنها فيلقاً بعد فيلق
 يُروّض مطاها منه أبلج ما انحنى
 لذلّ ولم يركع لعِزّ الخورنق
 ولو شمسٌ دنياه ظهراً لراضها
 وذللّها بين الحبا والتّمَنطق
 وسِرُّ القُطا كم شقّ درب إهتدائه
 بها وطواها في جناح التّمَلق
 وطار بها منه جناحٌ مهذبٌ
 يكاد يفوت البرق ليس بمخفق

يُحَلِّقُ بَيْنَ الْعَرْشِ وَالْفَرْشِ سَارِيًّا
ولو لم تكنه في الفضل لم يُحَلِّقْ
ودونك فاسمع قصتي متبينا
مدار الهدى فيها ومغزى التعمق
لقد طاف بي من جانب الله مبتل
ومن يبتل الباري فلا وزر يقي
وإن قضاء الله لو مر تارة
ولكنما عقباه حلو التذوق
فأسلمني للداء في سوء وقعه
ليبلوني والشكر شأن الموفق
لقد ثقل الزند اليمين فعاقني
عن المشي إلا في ونى وترفق
ومن عجب داء بزند مصابه
تحدّر للرجلين في وثب أسبق
وشأن الفتى أن يبدأ النقص عنده
يَهْلُه فيسرع في الصراع ليتق
فتبصره يأتي الطبيب ليشتكى
إليه الأذى من دائه المتعمق
ويحسب أن الطب في يده الشفا
فيسلم فيه نفسه عن تعلق
فمن ذاك أرخيت العنان مبادرا
أروم طبيبا أجنبيا التخلق
أهبت به والإسم «هيب» فهش لي
وأبثثته الشكوى فقال ترفق

وألبسني طوقَ الغراب وقال لي:
 دواك أسبوعين بالجدِّ الصق
 وقد كان طوقًا من قماش مزين
 حشوه بقش في صنيع مُنَمَّق
 فعدت إلى بيتي بجدِّ مطوَّق
 وقد كنت كالضُرغام غير مطوَّق
 فلا هو نص الجيد في خير حلية
 ولا هو أضحى بالشِّفاء المروَّق
 فأمضيتُ أسبوعين للطُّوق لابسًا
 فما زاد بي غير البلاء المحقَّق
 ولكنَّها كانت كتجربة بنا
 وقد فَشَلْتُ سعيًا ولمَّا توفَّق
 فأكرمُ بها لو أنَّها قد تعثَّرتُ
 فقد جليتُ عن أجنبيِّ محقَّق
 ونحن وراء الأجنبي نُجِلُّهُ
 ونُكبرُهُ عن كلِّ عالٍ ومُرتَق
 ولو عربيُّ جأنا بنظيرها
 وبَرَهَنَ عن صدقِ بها لم نُصدِّق
 لأن احتمال العقل في البدو نادر
 وأنهم أهلٌ لكلِّ تشدِّق
 وما العربيُّ غير جافٍ وفي الجفا
 جفاف فأخلق بالتَّخلف أخلق
 تَخَلَّقُ بأخلاق الرُّسولِ وصحبه
 لتفلح والزم دربه تتألَّق

وخذ بالخطا نحو اليمين عن الخطا
وخذ عِزَّةَ التَّقْوَى تُعَزُّ وترتقي
فلإن اعتزاز المرء بالدين سُلَّمٌ
إلى شَرَفٍ لا يُرتقى بالتَّسَلُّقِ
وَفُضَّ ختام المسك يعبقُ نشره
صلاةً وتسليماً على خير متَّقٍ
محمدُ المختارُ من صفوة الورى
مع الصَّحْبِ من هُم للعُلا خير سبق

١٠ - إيمان الفاروق

مِنَ الجَهِلِ أَنْ يَطغى عَلَى رَأْيِكَ الجَهِلُ
وَمِنَ حَسَنَاتِ العَقْلِ أَنْ يَحْكُمَ العَقْلُ
وَإِنْ سَدَادَ الرِّأْيِ أَنْ لَا يَمْسُهُ
بَخْدِشِ الهَوَى إِنَّ الهَوَى خَدَشُهُ قَتْلُ
وَمَا العَدْلُ إِلَّا أَنْ تَأْلَمَ لِلسَّوَى
كَنَفْسِكَ إِنْ نِيلُوا وَإِلَّا فَلَا عَدْلُ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا جَاهِلَانِ وَعَاقِلُ
فَذَانِكَ شَكْلَانِ وَذَلِكَمُ شَكْلُ
فَنَاقِذُ عِلْمٍ بَلْ وَطَائِشُ نُهْيَةٍ
جَهْلَانِ أَمَّا العَكْسُ فَالعَاقِلُ الفَحْلُ
وَذِي مِقَّةٍ أَفْضَى إِلَيَّ بِسِرِّهِ
وَكَمْ لَجَّ بِالْإِخْوَانِ مِنْ آدِهِ الحَمَلُ
تَخَالُ فَمُ الرَّمْضَاءِ لَفَحَ حَدِيثُهُ
فَنَبْرُتُهُ وَقُدَّ وَنَبَاتُهُ نَصْلُ
يَقُولُ وَفِي عَيْنِيهِ نَظْرَةُ حَاقِدٍ
أَقَامَ بِهِ صَعْبٌ وَغَادِرُهُ سَهْلُ
لِهَا اللّهُ عَرَسِي كَمْ تَسِيءُ تَعَامَلِي
وَتَقْسُو كَمَا يَمْلِي لِقَسَوَتِهَا الجَهِلُ
وَتَرْمِي بِأَمْرِي فِي الْفَضَاءِ كَأَنَّهُ
قَلَامَةُ ظَفِيرٍ أَوْ كَمَا رَمَى الثَّقَلُ

وتصخب في وجهي كأني خادمٌ
أقام به فقرٌ وساوره ذلٌّ
وتنكر من فضلي الكثير تجنيًا
وتشكر من غيري إذا نالها القلٌّ
فقلت: تَحْمَلُ فالتَّحْمَلُ شِيمَةً
لكلِّ كريمٍ زانٍ جوهره الأصلُ
فقال: تحملتُ الكثير فأدني
وما زلت والإشكال ليس له حلٌّ
تضايقني في كلِّ آنٍ وتنثني
إلى الناس تشكوني كأَنَّ الهوى دَحَلُ
فإيلي بكاءٌ والنَّهارُ تشاجرٌ
وفجري تباريحُ وراة الضُّحى كل
لحاها لحاها الله إنَّ كان عن قِلَى
فلا نالها من كلِّ ذي نسمةٍ بذلُ
وإن كان عن طبعٍ هنالك سيئُ
فلا كان ذاك الطُّبعُ والخلق النُّذلُ
فقلت له: إِنَّ النِّسَاءَ ضَنَائُنُ
وإنَّ الرِّجَالَ لَا يَهْدَهُم النُّقْلُ
وخيرُ الرِّجَالِ الصَّابِرُونَ عَلَى الْأَذَى
فكن خيرَهم واصبرُ كما صبر الرُّسُلُ
وإياك أن تسعى إلى البطش طائشًا
فتندم إنَّ البطشَ غايته ثُكُلُ
فقال: بَرَمْتُ الْحَالَ مِنْهَا وَسَاءَنِي
تصرفُها القاسي وأنيابه العَصْلُ

أَتَقَسَّوْ كَمَا شَاءَتْ عَلَيَّ وَلَيْسَ لِي
سِوَى الصَّبْرِ إِنَّ الصَّبْرَ فِي نَابِهِ صِلٌ
وَأَبْقَى عَلَى الرَّمْضَاءِ مِنْهَا مَقِيدًا
عَلَى الْخَسْفِ تَعْلُونِي الْهَمُومُ وَلِي رَجُلٌ
فَقُلْتُ: لَهُ إِنْ الْقَضَاءُ يَسُوقُ مَا
يَشَاءُ عَلَى الْإِنْسَانِ وَاللَّهُ قَدْ يَبْلُو
فَقَابِلَ قَضَاءِ اللَّهِ بِالصَّبْرِ وَالرَّضَى
وَفَارِقَ بِمَعْرُوفٍ وَعَاشَرَ بِمَا يَحُلُو
فَلِلَّهِ فِي اللَّطْفِ الْخَفِيِّ إِذَا ابْتَلَى
يَدٌ لَمْ تُسْهَأْ لَطْفٌ وَمَطْعَمُهَا نُحْلُ
وَدُونَكَ فَاسْمَعِ قِصَّةَ عُمَرِيَّةَ
بِهَا عِظَةٌ يَسْمُولُهَا السَّادَةُ النَّبِيلُ
تَشَاجِرُ زَوْجَانِ وَكَانَتْ غَلِيظَةً
عَلَيْهِ فَلَجَّ الطَّيْشُ وَاسْتَتَرَ الْعَقْلُ
فَأَسْرَعَ لِلْفَارُوقِ يَشْكُوهُ أَمْرَهَا
فَمَا إِنَّ دَنَا لِلْبَابِ أَوْ عَاقَهُ الْقِفْلُ
وَلَكِنْ رَأَى الْفَارُوقُ يَشْتَكَ عَرْسَهُ
شُرُورًا فَلَا كَانَ الْمَقَالُ وَلَا الْفَعْلُ
رَمْتَهُ بِمِفْتَاحٍ عَلَى حَرٍّ وَجْهِهِ
فَشَجَّتُهُ وَيَلُ الْعَرَسُ إِنَّ حِلْمَ الْبَعْلِ
فَقَامَ فَتَى الْخَطَابِ تَحْتَ وَقَارِهِ
يَجُرُّ رِذَاءَ الْحِلْمِ تَهْفُو بِهِ النَّعْلُ
فَمَا كَادَ يَخْلِي الْبَيْتَ لِلْقَصْدِ أَوْ رَأَى
عَلَى الْبَابِ شَخْصًا وَجْهَهُ حَيْرَةٌ تَعْلُو

فَقَالَ لَهُ: مَا لِي أَرَاكَ بَعْتَبْتَنِي
أَأَمَرُ عَنَّا أَمْ ذَا التَّجَسُّسِ وَالْخُتْلِ
فَقَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ لَكِنْ زَوْجَتِي
أَسَاءَتْ عَلَيَّ وَالْإِسَاءَةُ لَا تَحْلُو
فَجِئْتُكَ أَشْكُوهَا فَرَوَّعَنِي الَّذِي
سَمِعْتُ وَأَنْتَ الْفَحْلُ لَيْسَ لَهُ مِثْلُ
تَخَافُكَ حَتَّى الْجِنَّ فِي ثَكَنَاتِهَا
فَمَا بَالُ هَذَا الْخَوْفِ تَنْتَاشُهُ الْأَهْلُ
أَهْنُتَ عَلَيْهَا أَمْ حَمَى الدِّينِ سَرَّحَهَا
فَاجْفَلْتَ عَنْهُ وَهِيَ فِي سَرَّحِهِ تَسْلُو
فَقَالَ: فَرَاشِي يَا بَنِيَّ وَخَادِمِي
وَفِي حَجَرِهَا يَرِبُو وَيَنْتَشِي النَّجْلُ
وَرِبُهُ بَيْتِي بَلْ وَكُنْزُ سَرِيرَتِي
وَإِنْ يَبْدُ حَيْنًا فِي تَصْرِفِهَا جَهْلُ
تَسْوِءِكَ لَا بُغْضًا وَلَا عَنْ كِرَاهَةٍ
وَلَكِنْ فِي أَخْلَاقِ بَعْضِ النِّسَاءِ طِفْلُ
فَلِنْ جَانِبًا لَوْ قَابَلْتُكَ بِشِدَّةٍ
وَرَقَّ لَهَا يَجْمَعُكَمَا فِي الْهَوَى الشُّمْلُ
فَإِنْ فَعَلْتَ مَا يَغْضِبُ اللَّهَ وَالْإِبَا
عِنَادًا فَقَابِلْهَا بِبَطْشٍ وَلَا تَقُلْ
فَعَادَ بِفَارُوقِيَّةٍ مَلُؤَهَا الْهَدَى
لَهَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَ نَهْلٍ عِلٌّ
فَعَدُّ مِثْلِهِ فِي مِثْلِهَا بِصَحَائِفٍ
مِنْ النُّورِ حَتَّى تَسْتَنْيرَ لَكَ السُّبُلُ

وَوَطِنٌ عَلَيْهَا النَّفْسُ تَسْتَجِلُ سِرَّهَا
فَفِيهَا كَمَا شِئْتَ الْفَرِيضَةُ وَالنَّفْلُ
وَفِيهَا تَعَالِيُمُ الرَّسُولِ وَهَدْيِهِ
وَفِيهَا مَعَ الرَّشْدِ الْمَرْوَةُ وَالْفَضْلُ
فَرَزَكَ بِهَا حُسْنَ التَّعَامُلِ وَالْهَوَى
تَطْبُ لَذَّةَ اللَّقْيَا وَيَحُلُّ لَكَ الْوَصْلُ
فَقَالَ لَكَ الرَّحْمَنُ عَوْنًا أَعْنَتَنِي
عَلَى هَاجِسٍ عِنْدِي كَأَنْ وَقَعَهُ نَبْلُ
سَأَصْبِرُ حَتَّى يَشْهَدَ اللَّهُ أُنِّي
صَبْرَتِ وَحَتَّى يَقْطَعَ الْغَارِبُ الرَّحْلُ
وَأَغْضِي عَلَى الْأَقْدَاءِ عَيْنِي طَاعَةً
لِرَبِّي مَا لَمْ يَجْرَحِ الطُّعَاةَ الْفَعْلُ
وَأَغْدُو أَفْضَ الْخَتَمِ مِسْكًَا عَلَى الْوَفَا
لَتَسْبَحَ بِي فِي أَفْقِهَا الْأَعْيُنُ النَّجْلُ

١١ - النّفور

ويك مَنْ عَلَّمَ ذا الظُّلبي النّفور
ألّهوى؟ إنّ الهوى ليثّ هصور
أم ترانيمُ الحدا بين الصُّخور
خلف ترجيع الصّدى في السّحر
قسماً للحُبِّ إنّ برّ القسَم
إنّ ترويض الهوى بالأمس تمّ
وتمامُ البرّ برّ القسَم
فعلى رَسَلِك في النّجم الغريب
فلقد أنحله شوقُ الحبيب
وبراه حُبُّه بري القضيّب
يتحدّاه بقاسٍ أشر
وطواه في الحشا طيّ الخُلوع
ثمّ أرواه برجس من دموع
ورواه لرواة الأمم
يتغنّى بهواه الأدب
ويروّض الجِدُّ منه اللعب
وهوفي الصّالة حيثُ الطّرب
يتغنّى برقيق عبهري

فاستمع رَجْعَ حِدَاةِ الظُّعِنِ
مدلجات والهوى في قرن
يرقص اللحن به في النِّعْمِ
والهوى ينفث في آياته
وينادي الحُبُّ في غاياته
لكن الغايات في أناته
حيث يروي عنه وخز الإبر
وحبيبٌ بَتُّ أَسْتَعِذُّ فَا
هُ وَمَجُّ الخمر شهداً من لاه
جائماً بين الظُّما والضُّرمِ
أنقش اللوحة في الخد الأسيل
وأنافي البدر في الطرف الكحيل
وأداجي الحُبِّ حتى يستميل
مَيْلَةَ الغصنِ بعَالِ الشَّجَرِ
ما له إذ علَّم الحُبُّ الخداع
يرتمي في حُضْنِ قَهَّارِ الطَّبَاعِ
يرسل النُّظرة كالمحتشمِ
ما له إذ جرحته الأعين
هَامَ فيها سِرُّهُ والعلنُ
وارتمى والقلب صُلْبُ خَشْنِ
يقهرُ الجبار عن مقتدر

يتبع النظرة منه بالسُّطَا
ويهيئُ الحرب فيها خططا
وهو أه غارق في الحلم
ويباري في الدِّمَا نَزْفُ الدِّمِ
لا يداري حرماَت الدِّمِ
لا يخافُ الحرب إنْ تحتدُّ
يحطِّم النَّصْلَ بعُضْبِ ذَكَرِ
والدِّمَا تسري على معصمه
ويُبداهُ منه في مغنمه
والهوى يرقبه في العَزَمِ
في رداء عركته النُّوْبِ
وطوته في سراها الشُّهْبِ
فَتَدَلَّى والفضا ملتهبُ
منه والعبرة لم تعبر
يتمنى والمنى عنه بعيدُ
بين وعدٍ وترجٍ ووعدٍ
في تلاقٍ بغرامٍ مفعمٍ
بين أطباق السما وهي تمورُ
وعلى أفلاكها السُّعد يدورُ
والهوى قُطْبُ الرِّحَى وهي تدورُ
كمدارِ النُّجْمِ بين الغُرُ

أه ما أحلاه تحت السُّرق
وَأَلَذَّ الوصل عند الغسق
والهوى يختال تحت الشَّمم
والحِجَا أحير من ضَبِّ بقاع
يتمنى النِّافقا لو استطاع
غير أن النافقا رأس الخداع
فلذا تلقاه خلف الحذر
يترامى في التُّمني والحجا
ينظرُ الفتح بأعيان الرِّجا
علَّه يكسبه في الغنم
يا نديمي على الرُّوض النُّضيرُ
ردِّدا الأنغام من حول الغديرُ
والأمانى للتُّهاني تستديرُ
علَّها تكسب دور الطُّررُ
فأنزلا لكن على حكم الهوى
تجدا حبُّكما حول الصُّورى
ينشد العالم سرَّ القلم
وعلى الأقلام شرحُ مستطيل
يبلغ الليل وساعات المقيّل
ويداجي أمّه كيما تنيل
وهي في الكلة فوق السُّررُ

يرصد الفرصة أيان تلوح
علَّه يقنصها عند السَّنوخ
وهو في الصَّالة تحت الحَرَم
يختم القصد بمسكٍ أذفر
عن صلاةٍ للرَّسول المضري
عَرَفها يسري بسرٍ جوهري
ليضيء الكون تحت الطَّهر
في شذا قد فاح عن مستعذبٍ
عبق اللثة زاكى الشَّنْبِ
بلسم الطيب على المبتسم

١٢ - الجزر والمد

ما هَزْنِي وَجُدِي بِجَزْرِ مَدِّي
إِلَّا وَهَاجَ بِي سَعِيرٌ وَقُدِّي
وَلَا سَرْتُ أَمَالِي، بِحَالِكَ اللَّيَالِي
فِي بَاهِرِ الْجَمَالِ، تَعْلُو مِنَ الْجَمَالِ
كُلُّ نُلُولٍ جَلْدٍ
وَلَا سَرَى الْحَبُّ لَزْنَدِي مُورِيًّا
إِلَّا أَتَتْهُ الْحَرْبُ وَهِيَ تُرْدِي
لَكِنْ لِي يَرَاعَا، وَمَرْهَفًا قِطَاعَا
كَمْ هَدَمَ الْقِلَاعَا، وَحَطَّمِ الْأَدْرَاعَا
مِنْ كُلِّ شَهْمٍ وَرَدٍ
رَضْتُهُمَا بِالْعِزِّ غَيْرِ وَإِنْ
شَدًّا وَلَيْنًا ابْتَلَى مَا عِنْدِي
فِي قَالِبٍ يَسْتَعْصِي، أَسْلُوبُهُ الْمُسْتَقْصِي
عَنْ حَازِقٍ وَلِصٍّ، لَكِنَّهُ فِي النَّصِّ
يَسْلُكُ دَرْبَ الرُّشْدِ
لَا يَقْتَوِي شَدَّهُمَا إِنْ غَضِبَا
وَلَا يَرُدُّ حَادُّهُ بَحْدًا
وَفَارِسٌ مَهْدَبٌ، بِصَارِمٍ ذِي شَطَبٍ
يَمْرَحُ فِي تَغْلِبٍ، يَكْسِبُ فِي الْمُنْقَلَبِ
بِالْجَزْرِ أَقْصَى الْمَدِّ

يسري بليل في دجى محتر
بين سواد الليل والنَّحْدِي
لا يعرف السَّرار، ولا يخاف النَّار
يسلط البتُّار، ما خصمه أستاذ
معبأً للجند
فيه تعال وعلو شان
لن يدركا بوثبة المشتد
وهو على الهواء، يقيس عمق الماء
في حدة المرائي، وخفة المنائي
لا يختشي من بعد
لا يحمل الغلَّ على أعناقهِ
ولا يداري غمزات الوغد
يؤلف الكلام، لا يختشي الكلام
ويتقي الآثام، كي لا ينال زام
في هزله والجد
عجبت منه عادياً في فلق
يسدد القفزة خوف الصَّد
لكنه الوثاب، في يده حراب
ورميه عجاب، وفوزه إعجاب
في حالك مسود
لا يرهب الخضمَّ في العدو ولا
يخاف منه طيشه كالرعد

لا يدهش إندهاشا، لطارق قد طاشا
ونابل أراشا، عمدًا وما تحاشا
حتى انثنى يستعدي
ربَّ إليك قد طويت سري
في قالب يقلب ظهر العمدة
وهو خليق بالوفاء، ينشد في الحبِّ الصِّفا
ويختم القول عفا، عسى يعود بالشفِّفا
من المعيد المبدي

١٣ - لفائف الحب

قصي حديثك للريحان والروح
وإن أباح الهوى عن سرّه بوحى
وفتّحي الزّهر وردًا في خمائله
أريجه بلقّات الهنا يوحى
وأيقظي الشّوق في الأعماق أغنيةً
بلها وراء حداٍ وتأويبِ
والليل يريد والأحلام إرهابُ
في روضةٍ اللهو والأماق جاريةً
دمعًا بدمعٍ ومسفوحًا بمسفوحِ
والليل يسكبُ في الأذان روعته
والبدر حيرانٌ بين اللوح واللوحي
ودميةٌ تتهاذى في مطارفها
كأنّ ملمسها قارورة الطّيبِ
وللحبّيب بقلب الحبِّ محراب
وفي الشّجيرات ألحاظ بأسهمها
ترمي وأخرى لها أنثى مقروح
هذي تهز قضيب العجب ساخرةً
وتلك تشكو إلى دمع التّماسيحِ

وللغرام نـدأت مدوية
حسرى تـذوب على أنات مسلوب
كأنها في نوادي الحيّ زياب
قد صفق الحب في أحشائها فهفت
تهوي إليه على لفح التّباريح
تُصوّب النّظرة الحيرى لتجعلها
لفائفًا لحشا بالحبّ مجروح
فما أحس يدًا منها تداعبه
حتى أستطير هواه في التّلابيب
ومتعة الوصل بالذات تنساب
فسرّحت طرفها في الدّار تسألها
هل فيك موحى له إله أو موحى
قالت: وحقّك لا إلا كما وأنا
ونفحة منك عمّا في الرّضا توحى
ولوحة رقمت بالتّبرينقرها
نأي يردّد ألحان اليعاسيب
فأسلمت نفسها والقلب وجاب
فضمّها فانتشا سكرًا فطار بلا
وعى يصيح ابن ودي هاك تصرّحي
ضممتها فاستقرت روحها بدمي
منّي وقررت على أحشائها روي
فهل رأيت حبيبين كذا امتزجا
كالماء والريح في مزج وتركيب
والقلب يخفق والذات أسراب

١٤ - رُوحِي

أَحْبَابَ قَلْبِي أَنَا حِيرَانُ فِي أَمْرِي
وَأَسْتَرِيحُ إِذَا مَا عِشْتُ فِي أُسْرِي
أَسْعَى وَعَمْرِي بِأَيْدِيكُمْ عَلَى نَهَبٍ
أَشْتَاقُ رُوحِي وَأَخْفِي فِي الْهُوَى سِرِّي
كَالْمُسْتَهَامِ لَدَيْكُمْ ذَاهِلُ الْقَلْبِ
اللَّهُ أَحْبَابُنَا فِي صَادِقِ الْحَبِّ
إِنْ كُنْتَ قَصَرْتَ فَيَكُمُ فَالْهُوَى عَذْرِي
اللَّهُ فِي عَاشِقٍ مَا زَالَ فِي عَنُوهِ
إِذَا رَأَى طَيْفَكُمْ يَخْتَالُ فِي غَفْوِهِ
قَضَى النَّهَارَ وَفِي أَعْطَافِهِ نَشْوِهِ
وَبَاتَ كَالْحَيَةِ الرَّقْطَا عَلَى النَّارِ
سَهْرَانُ مُضْطَرِبًا فِي زَنْدِهِ الْوَارِي
كَأَنَّهُ الْقُطْبُ يَبْكِي وَالْدُّجَى سَارِ
يُرِيدُ مِنْكُمْ لِقَاءً لَوْ عَلَى الْجَمْرِ
يَا زَائِرِينَآ عَلَى صِرْحِ الرِّضَا أَهْلًا
وَقُفِّيْتُمْ حَيْثُ كُنْتُمْ لِلْوَفَا أَهْلًا
وَنَحْنُ مِنْكُمْ وَمَا زَلْتُمْ لَنَا أَهْلًا
هَيَّا إِلَى الْبَدْرِ فِي أَثْوَابِهِ الْبَيْضِ

نغازل السُّمَرَ في موشية البيضِ
واللَّحْظُ يسمو بنا عن منصل البيضِ
والبدر يسري بنا في أفقه الشعري
سمراءُ إِنَّ فتاة الحسنُ سمراءُ
ونبعة اللطف والإغراء سمراءُ
وحلم كلِّ ظريف الطُّبع سمراءُ
فهل ألام إذا قدست معنك
وظلت أسجد في دمعي بمغناك
والبدر يفخر أن يدعى معنك
والشَّمْس لو دعيت سمراءُ إذ تسري
في خفة الظِّل بل في خفة الرُّوح
أطرت لبي وما باليت في روعي
فذاك روعي كقلب فيك مجروح
ودمت أنت وعيش الحبِّ نوار
وأنت للعيش نوارٌ وأنوار
والحبُّ في مريضيه البرد والنَّار
فروحي مهجَّة المشتاق في الأسر
سمراءُ إِنَّ كان شعري من قوافيك
فكم هرقت شرايين القوى فيك
وبت أروي اللهى من نبع صافيك
وأستميحك بين الدَّير والدَّار
والعين يرسف بين النَّير والنَّار
والليل يشهد أنَّني دون إسكار
أفتض بالمسك ختمًا ضائع النُّشر

١٥ - لن تراني

قم بقافِ القيوم حتَّى تراه
وتأمَّل فليس ثمَّ سواه
وتدبر قرآنه ومعانيه
له تَر الحقَّ واضحًا معناه
وتَبَيَّن آياته والبراهيه
من يَبْنُ فيك للمقام اتجاء
والثَم الطَّيِّب من خميلة أنفا
سِـكَّ مسكًا فأِنَّها رِيَّاه
وامتزج من عوالم الذكر بالذَّاء
تِ وَغِبْ فيه عنك حتَّى تراه
فَوَحَّقَ الجلال من مجتلى الأنواء
وار حيثُ الكمال في مستواه
حيث تلقى الأبصار حسرى عن الدَّر
كِ عليها من «لن تراني» غشا
حيث عاينت حولك الجبل الشَّاء
هق دكًا من هول ما غَشَّاه
لن تراه فأنت ماءً وطينٌ
وهو من ليس مثله أشباه

جَلَّ مَنْ أَنْ تَرَاهُ عَيْنٌ وَأَنْ يُدْ
رِكَهُ الْفَهْمُ وَالذِّكْرُ حَاشَاهُ
فَإِذَا مَا حَاوَلْتَ رُؤْيَيْتَهُ فَاَنْ
ظُرْ بَعَيْنٍ تَكْهَلْتُ بِهِوَاهُ
(رُؤْيَا الْحَقِّ بِالْعَمَى عَنْ سِوَاهُ
وَعَيْنُونَ تَرْنُوبُهُ سِتْرَاهُ)
(هُوَ فِي الْكُلِّ ظَاهِرٌ غَيْرُ أَنْ أَلْ
لَهُوَ بِالْعَيْشِ وَالْهَوَى سِتْرَاهُ)
هُوَ مَا قَدْ عَرَفْتَ فَيْكَ وَلَكِنْ
أَيْنَ طُوقَ الْإِدْرَاكِ مِنْ مَرَاهُ
قَدْ جَلَا دُونَهُ الدَّلَائِلُ فَاعْجَبْ
لَجَلٍّ قَدْ اخْتَفَى فِي جَلَاهُ
حَجَبُ الْخَلْقِ عَنْهُ وَاتَّخَذَ الْكِبْرُ
رَدَاءً فَمَا أَعَزُّ ارْتِدَاهُ
أَيُّهَا الْعَجْزُ لَا يَصْدُكَ بِهِرٌ
أَنْتَ لِلْوَصْلِ وَالْوَلَا مَغْزَاهُ
ذَلَّلْتُ فِي تَكْوِينِهَا كَائِنَاتُ
لَكَ مِنْهَا الرِّقَابُ وَالْأَفْوَاهُ
أَنْتَ سِرُّ الْوُجُودِ هَامٌ بِكَ الْمَوُ
جُودُ وَالْوُجُودُ يَسْتَنْزِلُ خَطَاهُ
مَا دَرْتِكَ الْأَمْثَالُ فِي جِسْمِكَ الْخَلْ
لُوهِي فَقَالَتْ: سُبْحَانَ مَنْ سِوَاهُ
طِينَةٌ كَالصِّلَا جَوْفَاءُ مَا فِيهِ
هِيَ لِذِي الْعَيْنِ مَا تَشْفَى رُؤَاهُ

حيثُ آي الخلاق تبدو جمالاً
 لمحيّاك وهو بارٍ سناه
 إذ تجلّى فيك العلّيم بمعنا
 هُ وللعقل في العلوم مداه
 لك كلُّ الأسماءِ علماً من اللـ
 هـ وإذ أنت لم تسع إلاه
 ربنا ربنا (أتجعل فيها)
 هو منكم بالغيب ما أدراه
 لا ألومُ الأملاك إن أخذتهم
 رعدةً من مليكهم في علاه
 حين قالوا: سبحانك الله لا علـ
 م سوى ما علّمتنا إياه
 أنت ربّاه مَالِكُ الملكِ فاحكمُ
 نحن طوع التّصريف يا ربّاه
 ما سجدنا إلا لوجهك ذُلا
 ولمن شئتَه ومَن ترضاه
 أيُّها النّقص في كمال جلال الـ
 ووصل هل عاق قصدك الإشتباه؟
 قُمْ وسارع فالقصدُ غير بعيدٍ
 وبلوغُ المرامِ أن تخشاه
 واجتَلِ النّار من طوى حيث تطوى
 فيك منك الأضداد والأشباه
 حيث نوذيت من مقام أنا اللـ
 هـ وأن لا إله إلا الله

واجتلاك الحبيب من مطلع النُّو
رٍ وبسرّ القدوس في مجتلاه
وتسامى عن الحضيض إلى الحقّ
بقِ بك الحظ والهدى مرقاه
واعتلى مركز الطبيعة في النُّقْ
صِ الكمال الذاتى في عليها
غبت عنه فغاب عنك ليلقا
كَ فهل صدّك الهوى عن هداه
وتجأى لكنه فيك فانظر
بك فيك الإجلال في مجلاه
أنت لولاه لم تطل قيد شِبْرِ
أنت في مركز العفا لولاه
فافضِ الختم بالصَّلاة على المخ
تار مسكاً يضوع عنه شذاه

١٦ - طوى

عَلِقَ الْحَبِّ فاستراح هياما
ومشى يحملُ الغرامَ غراما
واستساغ الذُّهول كالشَّهد حتَّى
ماتَ فيه روما وحي مراما
ورأى النَّارَ من طوى فطوى النِّف
س إليها لينشر الإحراما
ودعاهُ من جانب الطُّور داعي
له فلبَّى دعاءه مستهاما
وَاطَّبَّاهُ إِلَى الحَقِيقَةِ طَيْفُ
زاره في طريقه إذ هاما
هو ذاك الطَّيف الذي اعترض السُّ
سالكَ في قصده فَعَضَّ اللِّجاما
ورأى الواصلونَ معناه حتَّى
ذهلوا عن نفوسهم ألاما
وتراموا به إلى ساحة القُرْ
بِ فتأهوا محبةً وهياما
وأقاموا به على القرب أروا
حًا فذابوا في حبه أجساما

وَاسْتَقَلُّوا سِيَادَةَ الْمَلِكِ وَالْقَهْ
رِ فَعَاشُوا فِي مُلْكِهِ خُدَّامًا
وَاسْتَلْذُوا ذُلَّ الْهَوَانِ لَدَيْهِ
حِينَ قَامَ الْهَوَىٰ عَلَيْهِمْ إِمَامًا
حَيْثُ بَاعَوْهُ أَنْفُسًا مِلْؤُهَا الْإِخْ
لَاصَ طَوْعًا فَاصْبَحُوا حُكَّامًا
أَيُّهَا السَّالِكُ الَّذِي قَطَعَ الْغِيَّ
طَانَ وَالْأَكْمَ يَسْتَبِينَ الْخِيَامَا
هَذِهِ كَعْبَةُ الطُّوُوفِ عَلَيْهَا
مِلْزَمُ الْوَصْلِ إِنْ أُرِدْتَ التَّزَامَا
فَتَطَوُّفٌ سَبْعًا عَلَيْهَا وَيَامِنْ
ذَلِكَ الرُّكْنِ وَاسْتَلَمَهُ اسْتِلَامَا
وَتَعَلَّقُ بِالْبَابِ وَالتَّزَمُ الْأُسْ
تَارَ وَالْثِمَّ حَصْبَاءَهَا وَالرُّغَامَا
وَأَبْكَ حَوْلَ الْحَطِيمِ مِنْ حَطَمِ الْحُبِّ
بِإِلَى أَنْ تَرَكَ ثَمَّ حَطَامَا
وَاسْجِدِ السُّجْدَتَيْنِ حَيْثُ الْمَصْلَى
يَتَجَلَّى تَحْتَ الْمَصْلَى ذِمَامَا
وَامْلَأِ الْكَأْسَ شَرْبَةَ الْقَرَبِ مِنْ زَمِّ
زَمِّ بَرْدًا تَحْيَا بِهِ وَسَلَامَا
ثُمَّ عَرِّجْ عَلَى الصُّفَا وَاسْعَ سَبْعًا
مُسْتَتِمًّا مَا رَمَتْهُ اسْتِثْمَامَا
أَيُّهَا الْوَاصِلُ الَّذِي هَالَهُ الْمَوِ
قِفُ فَاَنْصَاعُ دُونَهُ إِحْجَامَا

هو ذاك المدى فأن كنت أهلاً
لاجتلاءً فحرّك الأقداما
هو ذاك النور الذي غشي الطُّور
ر فأمسى دكاً وأضحى رماما
هي نارُ الكليم أنسها لي
لأ فاقبل ولا تخف إقداما
هي أي القدوس في حضرة القدّ
س فبادر وسر إليها أماما
واغتبط بالمني فقد تمت النّع
مة من جانب الكريم تاما
ولك الحق إن تطول كما شئت
فأنت السرّ الذي لن يراما
ولقد طال قبلك الواصل الأو
ول لَمّا تبين الأعلاما
أنت ملء الدنيا ولولاك فيها
لَعَدت في ظلامها تترامى
أنت للعلم خير من خلق الل
ه وبالعلم صرت شهماً هماما
أنت روح الوجود ذاتاً وما أن
كنت إلا عيناً وجسمًا وهاما
أنت معنّى والدَّهر لفظٌ وكم عَز
رَ بمعناه اللفظ لَمّا تسامى
أنت رمزٌ وفي الرُّموز إشارا
ت وتحث الخفاء لطف أقاما

يهدر الحق ملء فيك وما في
ك مقام إلا وبالحق قاما
سيدي سيدي لك الحمد والشُّكُ
رُفبارك في نيتي استخدما
وتقبل ما كان منِّي صلاحًا
عملًا كان أو نوى أو كلاما
وأقمني مولاي فيك على ذا
تَكَ عَبْدًا في عينه عوَّما
وانتشلني من ظُلْمَةِ الشُّكِّ والشَّرِّ
ك إلى أن ألقى الرِّضَا بساما
وأمنني بالحُبِّ فيك لأحيا
بِكَ في الحيِّ مكرمًا إكراما
وأعشني عبدًا على الباب للخذ
مَّةٍ دهري لا أنزع الإحراما
فإذا لم أكنْ لذلك أهلاً
فعلى الباب سائلاً إنعاما
وإذا كنت غيرَ أهلٍ لذيَّا
كَ وهذا فذاهلاً قد هاما
وإذا لم أكنْ ولستُ بأهلٍ
فكمن يحتسي المنى أوهاما
وإذا لم أكنْ وحاشاك ربِّي
فسجينا في همِّه يترامي
فتقبَّلْ بالحقِّ باقاتٍ شعري
فهي طاقاتٌ من إليك تسامي

وَاعْفُ عَنِّي مَوْلَايَ وَاعْفِرْ ذُنُوبِي
بِي وَتَجَاوِزْ عَنْ صَادِقِ إِسْلَامِي
وَانْشِرِ الطَّيِّبَ بِالصَّلَاةِ عَلَى الْمَخْدُومِ
تَارِ مِسْكَافِي وَافِي يَفُضُّ الْخِتَامَا

١٧ - المصلى

أُيُّهَا الرُّكْبُ عَنْ يَمِينِ المصلى
أُيُّ دَمْعٍ عَلَى الرِّجَالِ اسْتَهْلَا
أُيُّ رُوحٍ فَاضَتْ عَلَيْهَا وَنَفْسُ
بَهْوَاهَا ذَابَتْ لِتَفْرَغَ رَحْلَا
أُيُّ قَلْبٍ تَنَازَعَتْهُ حَوَايَا
هَافَأْمَسَى يَطِيقُ شَدًّا وَفَتَلَا
أُيُّ جِسْمٍ نَاءَتْ بِطَاقَتِهِ طَا
قَاتٍ ثَقُلَ فَلَمْ يَعِيَ حَمَلَا
أُيُّ حَالٍ حَلَّ الْغَرَامَ عَلَيْهَا
فَاسْتَطَاعَتْ هُنَاكَ أَنْ تَسْتَقْلَا
يَا لَوُدِّي أَنَا الْمَعْنَى فَمَنْ لِي
بِسَلَاكِ الْهَوَى وَإِنْ تَكْ مَهْلَا
حَيْثُ أَهْوَى لَكِنْ هَوَايَ مَوَاعِدِ
سَدَّ تَجَلَّى وَمَا تَكَادُ تُجَلَّى
حَيْثُ أَهْفَوْا إِلَى الْجَمَالِ الْحَقِيقِيِّ
وَقَدْ زَانَهُ الْجَلَالُ وَحَلَّى
حَيْثُ أَسْتَعَذَّبَ الْعَذَابَ دُوبِينَ الـ
وَصَلَ عَلَيَّ بِحَضْرَةِ الْقُدْسِ أَجَلَى

حيث أشتاق والحبيب بجنبي
 وأنادي به وهو في القالب حلا
 يا حبيبي أراك وسط ضميري
 تستجلي نوراً به أتجلي
 يا حبيبي جللت قدراً فاعزز
 بمشوقٍ إليك في الحبِّ ذلاً
 ساقه الشُّوق للمقام فلما
 قارب الوصل هالهُ ما تجلّى
 وتراءى لعينه شبحُ القَصْدِ
 يدِ فداني ولم يكذُ يَتَمَلّى
 حجبته الأنوار والآية الكُـبـ
 رى فلم يبصر المقام الأجلـ
 فتعايى على القوادم حيرا
 نَ يروضُ الجناح خِفْفاً وثِقْلا
 يتنأى فلم يطقْ عنه صبراً
 ويُداني فلم ينلْ منه وصلاً
 فيمالي الخيال وهو حسيرُ
 خاسئ الطُرف لا يشيم الحلا
 أيُّها الحائر الذي تاه في تخيله
 لست للحقيقة أهلاً
 إنَّ أهلَ الحقيقةِ الرُّجُلُ الصُّلُ
 بُ الذي لا يحارُ في الأمر عَقْلا
 والذي يركب الحقيقة أوعا
 راً إلى أن يرى الحقيقة سَهْلا

ويناجي الحبيبَ في حضرة القَر
 بٍ ولو كانت المِواطِي نُصْلا
 ويروض الغرامَ شَهْمًا كميًّا
 ويعاني الهوى كما شاء فَخْلا
 إِنَّ في حضرة الحبيب مقاما
 تٍ عليها تفاوت النَّاس فُضْلا
 وعزِيزٌ من ذُلٍّ في حضرة القُد
 سٍ لوجه الحبيب حين أطلا
 وسقاه الهوى كُؤْسًا من الخَمْ
 ر المَصْفَى فلم يَكْذُ يَتَسَلَّى
 وَغَدَاهُ الغرام فضل السُّويدا
 ء فأذهل بطاعم منه حِلا
 ودعاه فحين لبَّى دعاه
 صَدُّ عنه وقال: أُولَى فأُولَى
 فترامى لکنه في زهولٍ
 ما أمر الحياة إن تك فصلا
 فهو حيرانٌ بين أَمْنٍ وخوفٍ
 يتدانى وتارةً يتولَّى
 إن عيشَ الهوى هوانٌ فكم ما
 تٍ عليه الرِّجال قَرْمًا ونذلا
 يستلذون فيه كلَّ حِمامٍ
 تحت شدو الحَمام يُنْشِدُ حِلا
 ويببیتون فيه منه سِکاري
 يمزجون الكؤوسَ عَلا فعلا

كم قتيلٍ على الغرام شهيدٌ
وصريعٌ على الهوى بات يُضلى
فإذا شئت أن تعيش عليه
فأرض بالهون واحتس الموت نحلاً
يا حياة الهوى عليك سلامٌ
من مُعنى الفؤادِ في الحبِّ جهلاً
وسلامٌ على الغرام وأهليه
هـ وعين البيان بالبين تُكلى
وسلامٌ على الحبيب وقد با
تَ لعيني جماله يتجلى
وسلام عليه قريباً وقدساً
وختام الرضا من الشَّهد أحلى

١٨ - العراقين

قطعنا الليالي وهي نورٌ وغيهبُ
وجبنا الموامي وهي مرج وسبسبُ
وعدنا إلى دنيا الخيال فلم ندعُ
سبيلًا ينائي أو طريقًا يقرب
ورحنا حيارى والوجود مدلهُ
وبثنا سُكارى والورى ثم يشرب
فلا نحن جاوزنا من السَّعي حده
ولا نحن جزنا حدَّ ما نتنكب
فإن تكن الأيام شكلاً مدورًا
ففي أي دورٍ نحن نأتي ونذهب
وإن تكن الدنيا عمودًا مقومًا
فما بالننا نعوج فيه وننصب
وإن يكن التَّوفيق جراءً سعيًا
فما بالننا نسعى فيدنو ويعزب
وأن يكن الإيمان فعلٌ موفقُ
فما بالننا نرضى عليه ونغضب
ويومًا على دربِ العراقين صاح بي
رفيقي وألوانُ الطَّبِيعية تطرب

يقول وقد فاض الخيالُ بِسرِّه
وما النَّاسُ إلا مستهَامٌ ومطرب
كأنِّي بصحراء العراق وخصبها
رياضُ من الفردوس أو هي أطيب
فلم أر والسَّيَّار يقطعُ ريفها
سوى شجر يسمو وزهر يكوكب
وغير النَّمير العذب ينساب تحتها
تهيم عليه إذ يغني فتشرب
وغير النَّسيم الرُّطب لو هبَّ فانيا
لحي ولم يعلق به الدَّهر معطب
سلامٌ على مجد العراق وعزُّه
إذا الشَّأن شأن والجلالة منصب
أواوين عز لا يطاولها السَّما
أسرتها تحت الأكاسر تنصب
وتاج على غسان يخفق بنده
على الخافقين كيفما مال يغلب
تقبله النُّعمان في عنفوانه
يرؤُض عليك الدَّهر والملك مركب
وطال بعباسيه وهو خلافة
يصول بها شرق ويذعن مغرب
إذا المَلِكُ السَّفاحُ يبني عروشه
على كلِّ مسفوح به الصَّرح يخضب
فطأطأ منها فاستكانت لحكمه
وذلت وفرصاد الكلى يتصبب

أراني أرى الدُّنيا فلم أر ثابتاً
ولكنّها حالٌ بها تتقلَّب
يُسَرُّ بها المغرورُ وهي تضره
ويعيى بها المهمومُ وهو معذب
ولما أرتني عينها لآخ سرُّها
لعيني فما لي والحقيقة تسرب
كتبتُ بماء الفكر سطري على العفا
وما زلت أتلوه وسري يكتب
فهل أنا اقراءت الوجود صحيفتي
وهل قرئت دوني وما ثمّ مكتب
وأي زمانٍ ساورتني صروفه
فلم ترمني ماجداً يتغلَّب
شكوراً على النعماء والدَّهر كافرٌ
صبوراً على اللأواء والدَّهر أحرب
هو الدَّهرُ فيه للنَّهار إرادة
يدور عليها وهو بالحوّل قلب
ولليل نَسْرٌ لا يجنّحه الفضا
بظلمته لولا القضاء المحجب
فمن يستطيع البحث عن ريشة القضا
إذا فوّقت من فوقها إذ يصوّب
وما الصبر إلا دِرْعُ كلّ محنك
إذا اشتد حال أو تعذر مذهب
وما الحربُ إلا أُمُّ كلّ مجربٍ
يساورها إن ساورته ويركب

يروض بها الدُّنيا إلى الله وحده
ولله تحت العزم نصرٌ مغلب
وراءك ضدي إنَّ صدعي إرادة
وقصدي إحسان ومَرَمَاي كوكب
فمن سلك النَّهج القويم لغايةٍ
فلا شك يلقى النَّجح لو بات يتعب
ومن يتشاغل بالنَّعيم ولطفه
يجد نفسه في غير ما شاء تدأب
ومَنْ يرضَ لهو العيش في مِيعَةِ الصُّبا
يفته من العلياء ما يُتَطَلَّب
ومن يركب العشواء والليل دامسٌ
فيشتاك شرًّا ما له ثمَّ مغضب
ومن يسع بين النَّاس بالمكر فليثق
بأنَّ القضا يسطو عليه ويسلب
ومن يرم الطُّغيان نَحْلَ سهامه
فلا بُدَّ أن يلقى جزاءً يعذب
ومن يحسد المجدود فضل نعيمه
فدعه على جمر الغضا يتقلَّب
ومن يحفظ الأحرار يلقى الرُّدى بهم
ومن يمتهنهم يَجُن ما ليس يعذب
وما العيش إلا ثوب خِرٌّ لبعضهم
وللبعض من مخشوشن الصُّوف يهدب
يعزُّ على ذاك احتمالُ مشقةٍ
ويحمل هذا ما ينوء ويتعب

لذلك قال اخشوشنوا وتمعددوا
محمد وهو الصادق المتصلب
عليه صلاة الله ما اخشوشن اللقا
لخشوشن فانفاء والصبر أغلب
وما فاح مسك الختم عن دم باسل
على طاعة الرحمن يرضى ويغضب

١٩ - عسّس الليل

عسّسَ الليل واستهام الطروبُ
وسرى النجمُ والظلام رهيبُ
وخلا الحبُّ بالحبيب يناغي
له بلحن يحلو به الأسلوبُ
وهوَاهُ في غيده إذ تمَنَّى
وتمَنَّى الحسان شيءٌ عجيب
إذ سَـرَتْ نغمةٌ من الأدب الـ
غَضُّ عليها من الغوالي طيوب
ورؤاها لطف يشف عن الـ
حسن وفي الحسن سالبٌ وسليب
تتغنّى بمن تَـوَدُّ وتذري
دمعها خلف ركبته وتهيب
وتنادي موسى سلالَةَ عيسى
عبر أذيها فلا يستجيب
شغلته معالم العِزِّ تسمو
بسمائيل تَنقِّيها الخطوب
فتغنّى بها وألّف فيها
وبدا شاعرًا له تأويب
أو يَنسى الفيحاء من أكرمته
بهواها واستقبلته الدُّروب

وتجلى في حُلَّتِيهَا لِيَشَأَ
يَ مسابقات الميدان وهو صليب
وترامى بين المعالم فيها
بَدْرٌ تَمَّ عليه بَرْدٌ قشيب
فهي فوق الإطراء والمدح شأوا
وعليها من الجلال مهيب
تتهادى بين الحسن بفضفا
ض عليه غصنٌ يمس رطيب
ترصد الليل عن مطالع أقما
ر عليها من الهدى شؤبوب
إيه موسى ومن كموسى إذا ما
سَلَّ سيفاً به اليراع خطيب
إنَّه شاعرٌ مجيد ورام
لا تصيب الرُّماة ما قد يصيب
وأبوهُ الأديب من دَرَسَ الفق
ه ومن الآداب وهو خطيب
فسلامٌ عليهما من أديبي
من استباحا كنزاً عداه الرقيب
واستنارا طرائق العلم في الد
ه ولله قصدها المحبوب
ليفخاً مسك الختام شذياً
من صلاة الرسول يجلوه طيب

٢٠ - فلسطين

بإشراقة الأمل الباسم
بإبراقة المرفف الصَّارم
بإطراقة الضيغم الجاثم
بإحراقة الغضب العارم
سنقضي على الغاصب التائه
بتسعار أحشاء حرَّ مهان
بتمزيق جلباب عزِّ مصان
بإزهاق مجد على طيلسان
بثورة شعبٍ على ظالم
بصولته رغم لأوائه
بحرية زندها يقدر
بشهم غيور له مطمح
بإيمانه كيفما يجنح
بسطوته في اللظى الجاحم
بعزمته بل بغلوائه
سنبقى على قصدنا صامدين
ونلقى الحميم ونلقى المعين
فلا ذا يدين ولا ذا يدين
إلى أن نُجذَّ يدَ الغاشم
ونحسو نجيعَ سويدائه

إلى أن نمزّق شَمْلَ العِدا
وندفعُ ليلهمُ الأسودا
سندفعُ عن أرضنا من عدا
عليها بمطمعة الواهم
ولو ذر شمسًا بأرجائه
فما الأرض إلا لأولادها
وإن هي لذت لروادها
وساعدهم بعضُ أحفادها
على رغم شعبي لهم ناقم
لايوائهم شرُّ أعدائه
سنلقى الدّخيل بسيفٍ صقيل
بعزمٍ شديدٍ برأيٍ أصيل
ونلقى العميل بخطبٍ جليل
يهدُّ العروش على الضّائم
ليلقى به تحت أقدائه
سنلقاهُ في السُّخط المحرقِ
سنلقاهُ في الغضب المصعقِ
سنلقاهُ في الحنق المُطَبّقِ
ونقضي عليه بلا راحمٍ
قضاءً يُذلُّ لحوبائه
سنلقاهُ في فخرِ آبائنا
سنلقاهُ في دمِ أبنائنا

سنلقاه في غيظ أحشائنا
ونتركه طعمة الطَّاعِمِ
ولعنة كلِّ فَمٍ فائِهٍ
ونبني العروش على أصلها
بحكم المساواة في عدلها
لدى الفرد والجمع في أهلها
لمحكومها سلطة الحاكم
وللشعب عزَّةُ أبنائه
لتحيا فلسطين أمَّنا
ونحيالها نسلها الحسن
نضحى لها بالدماء دهرنا
لنضحى بها ذروة العالم
ونصبح نوراً بسولائه

٢١ - طائر الجمال

يا طائر الجمال على القدود السُّمر
رُفرف على الدُّلال فوق الغصون الخضر تحت الهواء الطُّلق
يا خافق الجناح فوق غصون الآس
انزل بلا جُناح باللّدن المياس انزل بلا توقُّ
في همسة النُّسيم في نفحة الرُّهور
في لذة النعيم في بسملة الثُّغور تَلثمها برفق
بصبغة الرُّبيع حيث الخدود ورْدُ
بالمربع المَرِيع حيث اللقاء برْدُ عن الأرقَّ
حيث الحديث همس مخافة الإصغاء
حيث الدُّموع رَجس تُمزجُ بالدماء من زفرات العشيق
فاشرب على الأوتار صرف الهوى الطُّروب
عن كأس موسيقار في المرح المحبوب تحت هديل الوُرُق
في نغمات الحُبِّ بالموعد القريب
في غمغات الحُب مخافة الرُّقيب أو كاشحٍ لا يُبقي
في قُبلة المشتاق على الشِّفاهِ الحمرِ
في ضمةِ الأشواق بين الطُّلى والسَّحرِ تحت خنوع الرِّق

٢٢ - الحُسْنُ

الحُسْنُ فِي بَزَّتِهِ	كَالْمَلِكِ فِي عِزَّتِهِ
وَالنَّاسُ حَوْلَ بَابِهِ	مِنْ غَافِلٍ وَنَابِهِ
يَضْحَكُ مِنْهُمْ مَرَّةً	وَمَرَّةً هُمْ يَضْحَكُونَ
كُلُّهُمْ جُنُودُهُ	كُلُّهُمْ عِبِيدُهُ
وَهُوَ عَلَى عُرُوشِهِ	يَنْظُرُ فِي نَقُوشِهِ
فَإِنْ تَجَلَّى فِينَهُ	فِيهِمْ تَرَاهُمْ يَصْعَقُونَ
كَأَنَّهُ مَغَامِرُ	لَكِنَّهُ مَقَامِرُ
كَأَنَّهُ مُؤَلَّاهُ	لَكِنَّهُ مُؤَلَّاهُ
يُوحِي إِلَيْهِمْ خَلْسَةً	حَبِيبَهُمْ فَيَسْجُدُونَ
غَنَّى بِهِ الْمَوْجُودُ	وَلَحْنُ الْوُجُودِ
فَهَامَتِ الْأَكْوَانُ	وَرَقَصَ الزَّمَانُ
لَمَّا تَرَأَى بَغْتَةً	وَهُمْ لَدَيْهِ خَاشِعُونَ
تَاهَ بِهِ أَشْيَاعُهُ	إِذْ بَزَّ هُمْ إِيقَاعُهُ
فَذَهَلُوا أَوْ هَامُوا	وَضَعُفُوا وَخَامُوا
فَقَامَ فِيهِمْ أُمَةٌ	يَدْعُوهُمْ فَيَسْمَعُونَ

فهرعوا إليه	لَاخَ الضُّيَا عَلَيْهِ
ولم يزل إشعاعه	فانفعل انطباعه
من نوره فيشرقون	يلقي إليهم ومضةً
وذاب في حمر الخدود	ماس على هيف القدود
وهام في كيانه	فغاب عن وجدانه
أما تراهم يرقصون	وفاح فيهم نفحةً
فطال عن كل منيف	أقام بالجنس اللطيف
ولم ينله نصف	لولا هان اللطف
أمن فيها الأكثرون	ولا ادعى نبوة
راعهم شعاعه	هنالكم أتباعه
وأقسموا بحبه	فذهلوا عنهم به
إلا وهم مستسلمون	أن لا يروه لحظة
عُجبا على من حكما	بذلكم تحكُّما
بمرهفات الرقعة	وساد جنس القوة
وهم إليه ينظرون	لما تبدى لحة
تاهوا به أم جهل	تُراهم عن عقل
لهم أم امتناعه	أم غرهم خداعه
ودائم السكر جنون	عنهم فتاهوا سكرة

٢٣ - فلسفة الحياة

أَقُمْ عَلَى الْعِلْمِ وَاتْرِكْ رَأْيَ مَنْ خَمَلَا
وَاسْتَعْمِلِ الْفِكْرَ حَتَّى تَبْلُغَ الْأَمَلَا
وَأَشْرَبِ الْعَقْلَ كَأْسًا كُلَّهُ حِكْمٌ
حَتَّى يَفِيضَ بِنُورِ اللَّهِ مَشْتَعَلَا
وَقُلْ لَهُ إِنَّ هَذَا الدَّهْرَ مُشْكَلَةٌ
وَقَلَّ مَا حَلَّهَا عَقْلٌ بِهَا اشْتَمَلَا
فَقُمْ بَوَعِي وَفَكِّرْ فِي الْوُجُودِ تَجِدْ
تَبَايَنًا جَلَّ مِنْ سِوَاهُ مَعْتَدَلَا
يَا مَنْ يَرَى الْقِشْرَ فَضْفَاضًا فَيَعْجَبُهُ
فَيَتْرِكُ اللَّبَّ فِي الْإِهْمَالِ مُبْتَدَلَا
لَا تَحْسَبِ الْجُودَ إِنْفَاقًا عَلَى سَعَةٍ
فَإِنْ يَضُقُّ ضَاقَ ذَرْعًا بِالَّذِي احْتَمَلَا
لَكِنَّمَا هُوَ إِثَارٌ يَجُودُ بِهِ
عَلَى خِصَاصَتِهِ مِنْ وَقِي الْبَخْلَا
حَاشَا وَلَا الْفَضْلَ إِطْعَامَ اللَّذِيزِ لَذِي
مَالٍ وَيَحْرِمُهُ الْمُسْكِينُ لَوْ سَأَلَا
وَلَا الْكَرِيمَ الَّذِي إِنَّ جَادَ أَعْقَبُهُ
مَنًّا وَبَاتَ فَخُورٌ بِالَّذِي بَذَلَا
إِنَّ الْكَرِيمَ الَّذِي يُعْطِي فَيُحَقِّرُ مَا
يُعْطِي فَيَكْتُمُهُ مُسْتَحْيِيًا خَجَلَا

يصون عرضاً نقيّاً لا يدنسه
عيبٌ ويبذل ما ينمو إذا بذلا
كالشّمس تغدو بنيها صحة وهنا
عيش وتكسو الفضاء من حُسنها حُللاً
لا تحسبنّ كمياً من إذا نشبت
مخالب الكَيْدِ فيه طاش واختبلا
ومَنْ إذا ضاقت الدُّنيا عليه بكى
حزناً وإن أكرمته بالغنى غفلا
إنّ الكمّي الذي يلقي الزّمان على
حاليه منتهزاً طوراً ومحتملاً
لا يُغمدُ السَّيفُ إنْ جدّت مضاربُه
ولا يُجرّده في صخرةٍ مثلاً
كأنّه وهو في الهيجاء في عرشٍ
يقبّلُ البيضَ أو يستقبل الأسلا
إذا الليالي اكفهرت زان جوهره
كأنّه حجرُ الياقوتِ وهي صلا
لم يثنه من حديدِ الدّهْر قوته
كأنّه الماس للفلواز كم قصلا
يطوي على البؤس أحشاء معودةٍ
مُرّ المذاق ويبدي البشر مُنتحلاً
ولا تغرره النّعماء لو بذخت
والعيش لو لَذَّ والإجلال لو جُملا
ولا يبيت من الأعباء لو ثَقُلَتْ
كالعير ينحطُّ في أثقاله ذللاً

ولا يظلُّ مع الأيام منقلباً
 كالكلب يلهثُ ألقى الحملَ أو حُملاً
 لا تحسبنُ لبيباً من إذا ملكتُ
 يدها جاهاً طغى أو كبوةً خملاً
 إنَّ اللبيبَ حصيفُ الرَّأي متزنٌ
 في حالتيه فلن يطغى ولن يكلاً
 ولا الشُّجاع الذي يأتيك متقدماً
 في السَّلم لكن إذا جد اللَّقا نكلاً
 تفيض من ماضيه نخوة فإذا
 تألب الخطب في مكروهه فشلاً
 إنَّ الشجاعَ الذي يلقي الخطوب فإنَّ
 جدَّتْ له جدُّ بالصَّمصام مُقتبلاً
 لا يعملُ السَّيفُ والآراءُ مغمدةً
 ولا يبيتُ على الآراءِ مُتَكِلاً
 لكنَّه يعمل الصَّمصام مصطحباً
 بجودة الرَّأي حتى يحرز الدُّولا
 وقلَّما أخفقت للرأي الويةُ
 يفصل السَّيف من ألغازها الجملاً
 وربما أخفقت راياتُ ذي شطبٍ
 لم يوله الرَّأي حظاً منه مُتصلاً
 لا تحسب الدَّهر بنياناً تعاتبه
 فيرعوي لك مهما قُلت ممتثلاً
 لكنما هو صرفٌ في تقلبه
 تبدو حقيقةً إنسانٍ به اشتملاً

ولا القويُّ الذي يقوى فيحمل ما
لا يُسْتَطَاعُ من الأثقال مُحْتَمَلا
إنَّ القويَّ نهوضٌ في شدائده
لكلِّ خطبٍ جسيمٍ خَفٌّ أو ثَقَلَا
وكم قـوـيٌّ بمـيـرـاث تخوله
كـرَّت عليه الليالي فانثنى فشلا
وحاملٌ جوهرته الحادثات إلى
إنَّ كاد يبلغ في عليائه زُحَلَا
فلا تضقُّ بالقضا ذرْعًا فإنَّ له
تصرفًا إنَّ تضيقُ أو تَرْضَ لم يُحَلَا
واستقبل الدهرَ قلبًا باسلاً وفمًا
حلو البشاشة لا غرًا ولا وَكَلَا
وحَمَلُ النَّفْسِ في الإخوان طاقتها
ولا تحملهم من دونها الثُّقَلَا
وانظر إلى المال شزْرًا بينهم فإذا
تنازعوهُ فكن فيهم كمن ذَهَلَا
فما الغنيُّ جموع المال في شرِّه
يخزنُ حثي عليه كُلُّ مَا أَكَلَا
إنَّ الغنيَّ كريمُ النَّفْسِ في شرفِ
إذا أَقْلٌ وإنَّ أثرى سرى بطلا
كأنَّه وهو في فقرٍ أخو سعةٍ
لا يهتك السُّتر عن عِرْضٍ لَهُ كَمَلَا
وإنَّ ينل ثروة لم يُطغِه بِطَرُّ
لكن يبدد فَضْلَ الوفر مُبْتَذَلَا

وَالنَّاسُ صَنَفَانِ مَوْهوبٌ تَوَيْدُهُ
عَنَايَةُ اللَّهِ إِنَّ أَمْلَى وَإِنْ أَمِلَا
وَأَخْزُرُ لَا يَفِي حَتَّى بِحَاجَتِهِ
إِنْ قَالَ أَوْ رَامَ أَعْيَا فَانْثَنِي وَجَلَا
وَالدَّهْرُ لَسْتُ تَرَاهُ رَاضِيًا عَمَلًا
مَنْ صَالِحٍ قَدْ عَلَا أَوْ مُفْسِدٍ سَفَلَا
فَاعْمَلْ كَأَنَّكَ فِيهِ خَالِدًا أَبَدًا
وَاعْمَلْ كَأَنَّكَ فَإِنْ دُونَهُ عَجَلَا
وِثْقُ بَرِيكَ فِي الْأَعْمَالِ مَعْتَمِدًا
عَلَيْهِ جَلٌّ وَلَا تَخْتَرِ بِهِ بَدَلَا
وَعِشْ كَمَا شِئْتَ بِالْعُلْيَاءِ مُضْطَلِعًا
وَاخْتَمِ بِمَسْكِ الرِّضَا مِنْ عَيْشِكَ الْأَجَلَا
وَعَطَّرِ الْكَوْنَ مِنْهُ بِالصَّلَاةِ عَلَى
مُحَمَّدٍ مَا جَلَا ذُو نَهْيَةٍ جَلَا

٢٤ - وصالها

وسمراء يسبي النّيرَيْنِ جمالُها
ويسمو مدار النّيراتِ جلالُها
محجبةً لو صَدَّتِ الحجب عارُها
مِنَ الحُبِّ صَدَّتْ رِيحَ عادِ جبالها
ممنعةً لولا الصّباوبة والصّبا
لَمَّا كَادَ سلطانُ الغرامِ ينالها
ولا صافحت رِيحُ الصّبا صَحْنَ دارها
ولا بلّ أعطافُ الرّداء بلالها
كأنّي بظهر الغيب أرنو جمالها
فيبهرني بين الحسان اعتدالها
فأرفعُ بالسّحر الحلال عقيرتي
أردّدُ أبياتي وهنّ حلالها
لأشتارها شهداً وأرشفها لمى
وألثمها مسكاً به اسودّ خالها
تعلقتها بين التّرائب طفلةً
كلؤلؤة الغواص صعباً منالها
وقد كنت بين القوم مكتمل القوى
أشد على الدُّنيا فيدنو محالها

هوأي برأسي والغرام بمهجتي
ودارة حلمي لا يطال مطالها
أكادُ أشقُّ الدَّهر عن حَدِّ صارمٍ
إليها وهمِّي في الحياةِ وصَّالها
فلما لمست السَّتر بيني وبينها
لمستُ الحياةَ داميَّاتٍ نصَّالها
وأبصرت خلف السَّتر رقرقة الهوى
وما هو إلا غنجها ودلالها
فيا لفؤادي خلف حادي ضعونها
تطايير كاللَّلاء يطويه ألها
تعلَّقْتُها عينًا وخدًا وقامةً
ومبتسمًا يطغى عليه جمالها
وأوقفت همي دون مبلغ حسنها
أراقبها حتى تفيء ظلالها
فلما رأيت الحسن أصبح رَقَّها
وأصبح بدرًا مستنيرًا هلالها
وداعبها طيف الشَّبَّاب وأوقظتُ
بلابلُ هاجتُ فاستهَام انفعالها
وطارَ على أغصانها هُذُودُ الهوى
فأيقظها للشُّوق يوحيه بالها
رَكِبْتُ إليها الجدَّ يهوي على الفضا
بأجنحةٍ يفري الأديم سِجَّالها
وعلَّقْتُ كفي في الكتاب بعروة
مِنَ الله وثَقَى لا يُرامُ انفصالها

فأشربتُ منها السَّعدَ شهيدًا كأنَّهُ
سلافُ الرِّضا قد شَيَّبَ فيه زلالها
إلى أنْ بلغتِ الحَدَّ والغايةَ التي
بها تَمَّ بَذْرُ السَّعدِ تجلوهُ حالها
ودارتُ على السَّعدِ المُجَنِّحِ بالهنا
مداورُ أفلاكِ فحْيي غزالها
وتمت بها النُّعماءُ عذبًا مذاقها
يشيرُ إليها بالبنانِ اكتمالها
ويدفعها في لجةِ الحُبِّ عارمُ
من الشَّوقِ يوحيه إليها خيالها
فَلَمْ أَدْرِني في أيِّ لَفْظٍ وصيغَةٍ
حَمِدْتُ إلهي إذ تَسَنَّى اتصالها
وتلك لعمري نعمةٌ مَنْ يَقْزُبُها
فيشكرُ تَفِيءَ منها عليه ظلالها
وتصحبه من جانبِ الله نظرةٌ
يضوُّعُ بنشرِ المِسْكِ منها كمالها

الفصل الثالث

عبد الله الخليلي بأقلامهم

تمهيد

لقد سعينا في سبيل توسيع مساحة البحث عن سيرته وعن اللطائف الإنسانية الخاصة وعن جانب من العلاقات الاجتماعية ودوره الثقافي في الساحة العمانية وعن كيفية تعاويه الشعر وتعامله معه ومعالجته إياه. وقد تلمسنا هذا المبتغى فتحدثنا إلى بعض مجايليه وأوضحنا لهم أهدافنا من ذلك باعتبار أن المقابلة والمحادثة والمحاورة تمثل في منهجية البحث أدوات هامة نحو اعتبار المادة المستقاة أصلية خاصة إذا وقعت من قبل أصحابها الذين خطوها بقلم وعيهم وعمرها بلبينات آرائهم وحصاد أفكارهم وطرزوها بحشد من ذكريات إنسانيتهم. تساعد مثل هذه الشهادات في كشف المسكوت عنه واللامرئي في مكونات شخصية المبدع وهي بذلك الصوت الخافت والصائط في ذات الوقت. ولذا كان الشيخ الأديب مهنا بن خلفان الخروصي من مجايليه وأوضح ما يراه في شخصية الشاعر عبدالله الخليلي بإيجاز محكم دون إسهاب ولكنه معبر. وأما من معاصريه فكان منهم الشيخ الأديب أحمد الفلاحي والشيخ القاضي صالح الحميدي، والشاعر الأديب والصحفي محمد بن سليمان الحضرمي، والشيخ الأديب والإعلامي سالم بن محمد العبري، والشاعرة والناقدة الدكتورة سعيدة بنت خاطر الفارسي، والأديبة منى بنت حبراس السليمية التي جاءت شهادتها من رحم ذكرياتها عن أبيها الشاعر حبراس وعلاقته بالشاعر وذكرت أنها علاقة التلميذ (والدها) بالأستاذ (الشاعر الشيخ عبدالله الخليلي). ومن قارئيه ومتابعيه فقد أوضح الشاعر والصحفي عبدالرزاق

الربيعي رأيته باعتباره أحد قراء الشاعر الخليلي منذ زمن بعيد، وكذلك قدم الكاتب والصحفي ناصر أبو عون شهادته حول كيفية تعرفه على الخليلي كاتباً وشاعراً من خلال الدرس والقراءة وعبر الأصدقاء. وهاتان الشهادتان تقدمان رؤية شخصية خارجية حول الشاعر وإبداعه وشعره. وتبعاً لهذا التسلسل قمنا بترتيب هذه الشهادات وهي حاملة أسماء أصحابها، ومن ثم ترقيمها لتسهيل الإشارة والرجوع إليها. تقدم هذه الشهادات مادة مفيدة تغري بدراستها وإننا عازمون على استقصاء أكبر عدد منها يمكن تحصيله لإعادة تحديث هذه الدراسة في المستقبل.

١ - تكريم الشيخ الجليل عبدالله بن علي الخليلي

بقلم عبد مولا هـ / مهنا بن خلفان بن عثمان الخروصي

بتاريخ ٢ جمادي الأولى ١٤٣٦هـ

الموافق ٢١ فبراير ٢٠١٥م.

تتجلى شاعرية شاعر البيان الشيخ عبدالله بن علي الخليلي، الذي ترعرع في أحضان دوحة الأدب المجيد، وتدرع بسرابيل الحمد والمجد في ربوع وطنه السعيد، ولا بدع أن كانت نشأته على تراب أرض عُمان، فكم أنبتت في مصافيعها أبطالاً من أساطين المعرفة والعلم الحميد، ولا غرو إن فاق أقرانه في ميادين الأدب المفيد، حيث استطاع أن يبرز بأصناف البلاغة في أطوار أشعاره وآثاره نظماً ونثراً، وتجلت عبقریات محاسن أوصافه جماناً ودرّاً، فتألقت في سماء الجد والمجد فكراً وقدرًا، وقد نسجت أقلام معارفه زروداً من البلاغة الرائعة ومخترت سفن أرومته خضم لغة الضاد بعد أن ظلت ضائعة، والتقطت من أصداف درره جواهر الشعر والحكم، وسرت به يعملات الهوج في بيداء المعارف اللامعة بين الأمم، ونصب أطناب المجد والفخر على تراب أرض وطنه المجيد، فتهافت رجال الشرف يرشفون من معين ينابيع بنانه، وارتفعت حوله مكارم العز خفاقة بمعالم أعلامه، فهنا أحجمت سهام كل رام عن بلوغ ذلك المرام، فماذا عساه أن يقول من أراد أن يوفيه حقه بكل وثام!.

ونظراً إلى سيرته الذاتية التي ضربت عروق أعراقها في محتد المجد الأثيل، وبدون مبالغة إذا قلت: حاز شرف الأصيل والفرع أصالة وتأصيل، ولا يخفى أنه ترك من الآثار المشرقة، والدرر الفائقة ما لا يخفى على كل متأمل نبيل، فهناك كتابه «الحقيقة» الذي أبرز فيه مخبئات التاريخ المجيد، وهو الرائد الوحيد بين

القريب والبعيد، ولا شك أن الباحث الأريب عندما تمر ذاكرته على سطور هذه المذكرات الدقيقة من كتابه «الحقيقة» أنه سوف يعترف بحرية مواهب هذا الشيخ الفطن عندما وضع مناهج سنن الحياة لعالم سيد الوجود بكل ما يهم ويروق، على أفضل منهج مرموق، وهنالك يرتع القاري الأديب عندما يلمح بارقة الصدق، من عارفة حقيقة الحق، وناهيك إذا تصفحت أشعاره المجيدة، وتغنيت بتغاريد حادة ركائبه السارية في دجى ليل سر مسراه إلى أطلال محته وعلاه، وكأنه قد نشق أريج معالم ربوع ذلك الحي ممن يهواه هواه بطاعة مولاه، وتلك غاية مبتغاه وإليه منتهاه. وهنا وقد وقف بي سيلان قلبي المتواضع هيبة من عظمة ما يتأمله السامع من سطور هذا البيان أعلاه، وكم وقفة لي مع هذا الشيخ الجليل يبادلني معها أحاديثه الودية يذكرني حقوق الأرحام، وينثر بين يدي كنانته بنسيم روح الود والوئام! ولا أنسى مذكراته الأدبية نثرًا وشعرًا، لقد خلدت لي تلك الإشراقات المشعة زبورًا من الذكريات، وطروسًا من الأمنيات، لا يسعني جهلها، ولا ينبغي لي تجاهلها، ففضله لدي عظيم، وشكري له جزيل جسيم، وأختم قولي بكلمات مضيئة شعرًا:

ولو أنني أوتيت كل بلاغة
وأفانيت بحر النطق في النظم والنثر
لما كنت بعد القول إلا مقصرا
ومعترفًا بالعجز عن واجب الشكر

٢ - عبدالله الخليلي.. شاعر عمان الأول

أ. أحمد الفلاح

إن فعلي مرآة ذاتي ولكن
لا أراني فيها وغيري يراني
فإذا شئت أن تراني يقينا
فبفعلي وما أقول تراني
لا تساني عني وسلك لتدري
كنه شاني أولا فسل من راني
إن للناس لا لنفسي شعرا
وفعلاً فهل بعيني أراني

هكذا أجاب شاعرنا الكبير الشيخ عبدالله الخليلي على سؤال يطلب منه تقييم شعره كما يراه هو لا كما يراه الناس؟ فهو يرى أن تقييم الآخر المتلقي هو الأدق من تقييم صاحب الشعر لشعره لأن الذات يصعب عليها أن ترى فعلها من كل جوانبه. ولعل في الجواب شيء من التهرب ومن التواضع أيضاً.

الشيخ عبدالله بن علي الخليلي كان الشاعر الأول في عمان على مدى ما يقرب من نصف قرن وكان ذا ملكة شعرية متميزة ينساب الشعر من ذاته انسياب الماء من السحاب ولكنه لا يترك قصيدته كما أفرزتها الموهبة وإنما يجتهد في تنقيحها وإصلاحها وتهذيب لغتها وصورها وتنسيق جملتها ويظل لفترة يعاود النظر فيها غير ويبدل ويحذف ويضيف إلى أن يراها قد استقامت واكتمل بنائها وحينذاك يطلقها ليراه الناس ويقرؤونها وهو راض عنها.. وكانت ثقافته الشعرية

واسعة محيطية بالكثير من قصائد الشعر العربي منذ ما قبل الإسلام وحتى العصر الذي كان هو فيه. وكذلك كانت ثقافته اللغوية والنحوية عالية المستوى لم يكد يفته شيء من علوم البيان وفنونه وهذا هو الذي حمى شعره من الأخطاء وعصمه من الزلل وكانت جملته الشعرية رصينة قوية.

بيد أن بيئته العمانية المنغلقة إبان تكونه وانبلاج شاعريته أثرت عليه تأثيراً كبيراً حيث انطبعت قصيدته على المذاهب التقليدية واللغة القديمة يبتعد أكثرها عن الأساليب العصرية الحديثة وهو نفسه قد لاحظ هذا الشيء في إبداعه ولكنه لم يستطع تخطيه وتجاوزه إلا في اليسير ولو أن موهبته في بدايات إشراقها وتفتحها قد احتكت بالحضارة الحديثة وكانت على صلة بتجاربها ونظرياتها لرأينا في شعره الجواهري أو الأخطل الصغير وأضرابهما من أعلام القصيدة العمودية الحديثة.

الشيخ عبدالله الخليلي من أسرة شعرية فاض الشعر في شتى جوانبها فجده الأكبر مفتي عُمان في وقته الفقيه العلامة الشيخ سعيد بن خلفان كان شاعراً مجيداً بليغ الكلمة، وجده المباشر لأبيه الشيخ عبدالله بن سعيد يعد من الشعراء الكبار، وجده لأمه الشيخ أحمد بن سعيد هو شاعر كذلك وهذه الأسرة الشعرية البارزة لم تكن أسرة شعر فحسب وإنما هي أيضاً أسرة علمية فقهية توارثت العلم أباً عن جد على مدى قرون متوالية، وقد ورث الشيخ عبدالله من آبائه وأجداده علوم الفقه واللغة والأدب إضافة إلى الشعر الذي برز فيه ..

وقد طرق شاعرنا معظم أبواب الشعر العربي كشعر الذاتيات والوجدانيات والشعر المتعلق بالذات الإلهية والمذائح النبوية والشعر الوطني والقومي وشعر الحكمة والرتاء والغزل وكان ديوانه الأول «وحي العبقريّة» قد جاوز الخمسمئة صفحة ومجموعته الشعرية الكبيرة الأخرى التي أسماها «فارس الضاد» التي ما تزال مخطوطة لم تطبع بعد لعلها تصل في صفحاتها إلى ضعف عدد صفحات

«وحي العبقريّة» إضافة إلى دواوينه الأخرى «نافذة الحياة» و«وحدة الشعب» و«بين الفقه والأدب» وغيرها وكانت نشأة الشيخ عبدالله في مدينة «سمائل» التي يطلق عليها العُمانيون لقب «الفيحا» لتدفق مياهاها وخصوبتها وشدة اخضرارها حيث عززت هذه الطبيعة الجميلة شاعريته وحركت مكانتها. ومدينة «سمائل» معروفة في عُمان بكثرة شعرائها المتعاقبين لأجيال متوالية والشيخ عبدالله كما هو حال أغلب الشعراء يحب الأدب ويسعده مجالسة أهله والمشتغلين به ولعل هذا هو الذي دفعه إلى إقامة مجلس خاص للأدب والشعر في بيته ينعقد كل أسبوع يحضره الشعراء وهوواة الأدب من القائلين والسامعين وكان لذلك المجلس إسهامه في إثراء الساحة الأدبية العمانية وتنشيطها حيث كانت تلقى فيه القصائد ويتم نقدها والتحاور حولها إضافة إلى الجوانب الأدبية الأخرى..

وللأسف الشديد لم ينل شعر الشيخ عبدالله من عناية الباحثين والدارسين ما يستحقه ويتناسب مع مستواه الراقى والسبب في ذلك على ما أظن جزالته وقوته وعمقه حيث يتطلب الدخول في عوالمه الكثير من الجهد والمشقة والصبر لذلك يتهيب الباحث الارتطام بصوره الباهرة ولغته الجزلة وجملته المحكمة ومعانيه الدقيقة ويذهب لما هو أسهل منه..

وهذا الشعر القوي البليغ لم يخرج من عمان ولم يصل إلى عشاق الكلمة الشعرية في عواصم الثقافة العربية ومنتدياتها كون الذي نشر منه طبع طبعة محلية والذي لم ينشر وهو الأكثر ما زال لم يطرق أبواب المطابع بعد وأمنياتنا أن يجد طريقه إلى دور النشر الكبرى في لبنان وغيرها ليتم التعرف عليه وليتاح له الانتشار والتمدد.

وقبل أن نختم هذه الأسطر القليلة المتعجلة سنحاول مقارنة شيء من أشعار الشيخ الخليلي بتقديم نماذج منها لإعطاء فكرة عن نوعية شعر هذا الشاعر كلمحات قد تفتح دروب الولوج لشعريته التي ما تزال شبه مجهولة للقاري العربي.

في إحدى قصائده الصوفية وعنوانها «الحمول» يقول شاعرنا:
وكان الدنيا حوالِي سطرٍ
من حروفٍ توحى بكلِّ عجبٍ
وكان السَّماءُ وهِي نجومٌ
تَتَجَلَّى عنها عيون الرُّقيب
وكان الفضاء خيمةً عرسٍ
عرَّستْ حولها حداة القلوب
وكان النُّسيم في حافتيها
نفحةً مِنْ رداء غيدٍ لعوب
وكان المياه تنساب فيها
نفسُ الرُّوح أو جلاء الكروب

ذلك نموذج لرصانة القول ولرهافة الحس والإبانة عن خلجات النفس الزاهية إلى عوالم الملكوت العليا كلمة «وكان» الوصفية المترادفة التي تكررت لعشر مرات في لفظها المجرد «كان» ولأكثر من عشر أخرى في صيغة ضمير المتكلم «كأنى» توضح مدى اصطخاب دواخل الذات وقوة خفقان حراكها جاذبة المتأمل للقصيدة إلى عوالم ممتدة لا نهائية أشبه بالموج المتدفق المتلاطم في بعضه بعضاً.

وفي مقام التوسل والرجاء يرفع الكف ضارعا:
إلى الله في أسمائه أَتَزَلَّفُ
وبالله في آياته أَتَعْرِفُ
وفيه به منه له عز شأنه
رجائي وأمني والهدى التَّصَرُّفُ
وإيَّاه أعني لو كُنَيْتُ بغيره
وفيه به أعني ولا أَتَكَلَّفُ

استغاثته والتماس وتلطف في السؤال والتصاق بالحضرة الإلهية المقدسة
في استكانة وخشوع ورجاء وأمل واستعطاف.

لقد احتوى ديوان «وحي العبقريّة» أحد عشر مجالاً وفي كل مجال منها
عشرات القصائد تفيض في موضوعاتها بآيات البيان المشرق الرفيع المعجب..

فقدنا منك يا «حمدان» شخصاً

كان العلم في يده النُّجومُ

فقدنا منك حراً أريحياً

خليقته الصراط المستقيم

فقدنا منك أزهد من عرفنا

حليم الطُّبع إن لَوُمَّ الحليم

فقدنا سيبويه العصريه

وأعظم ما فقدناه الصُّميم

هذه أبيات من مرثيته في أستاذه عالم النحو والعربية الشيخ حمدان بن
خميس اليوسفي وقد امتلأت القصيدة بالحزن والتأثر لفقدان ذلك الخبير الضليع
الذي اشتهر بالزهد والعبارات وسمات الصلاح وكان مقرباً لديه وأحد أصدقائه
الحميمين. ومن نماذج إخوانياته خطابه لشيخه العلامة الفقيه المؤرخ سالم بن
حمود السيابي

يا سالم بن حمود يا بن جدتها

حنّام سعيك بين السَّيف والقلم

تجلو الطريدة في ماضي الشُّبابة كما

تجلو الغريبة في مألوفة الكلم

جلوت أي بيان كالغزالة في

راد الضُّحى ما طوت وخطا على كتم

جلوتها بين هالات الجمال لها
نَوِيْزُخْرَجِ عَنْهَا طُرَّةُ الظُّلَمِ

وصف لسعة معارف شيخه العلمية وسعيه الدائب لخدمة العلم وكشف
دقائقه وإشادة بقصيدة الشيخ التي بعث بها إليه محكمة الصياغة فائقة البيان
بليغة المعنى.

وفي خطابه لأخويه وقد حل يوم العيد وهما بعيدان عنه وهو - بسبب عدم
وجودهما معه - لا يحس بالعيد ولا بأجواء فرحته التي اعتادها حين كان شمله
مجتمع بهما:

وهل صافَحْتَنِي بالسُّبَّاتِ نجوؤه
والحفنِي بالياسمين رداؤه
وهل بات مِنْهُ جانبي غير شَوْكِهِ
وهل لَذَّ لي مَقْلِيهِ وشواؤه
سِلِّ الرَّاكِلِينَ التَّارِكِينَ أخاهما
وراءهما والدَّهْرَ وعر وراؤه
هل ارتضعا ثدي النِّعِيمِ فهوما
عليه وفي النِّعْماءِ للمرءِ داؤه
سليلا أبايَ إِنِّي على ذلك الوفا
مقيمٌ إذا خان الصَّدِيقُ وفاؤه

حسرة تمتليء بها نفس الشاعر صباح ذاك العيد الذي جاء هذه السنة وهو
وحده وقد سافر عنه شقيقاه بعيداً فهو غير قادر على الالتذاذ بأطعمة العيد ولا
على استشعار بهجته كما كان يجدها في أعياده السالفة وهما معه.
وشاعرنا كدأب الشعراء من قبله استهواه وأبدع في وصفه وفي الهمس إليه
ومناجاته:

وحبیبِ كالْثُرِیا
 یتَجَلَّى دُونِ رِینِ
 باتِ یطوینِ بِخَضْرِیـ
 ـــهَ فَمَا أدركتْ عینِی
 وغدا ینشرنی للـ
 ریحِ بینِ الخافقین
 ذہبِی الشَّغَر لکنْ
 عنـدمِی الشَّفتین
 بـدویُّ الـحِظ لکنْ
 حـضـریُّ المـرشفین
 جـوہـریُّ الـلفـظ لکن
 لـؤلؤیُّ المـبـسمین

هكذا يطويه الحبيب بخصريه وينشره للريح ولكن بين الخافقين يبادله
 النظرات ويبسم له بالثغر اللؤلؤي مغرياً إياه بالمراشف العندمية الداكنة الاحمرار.

وفي قصيدة أخرى:

أَمَّا إِذَا ظفرت بالحبيب
 فـالـعـق عـسـالـه
 وبثَّـهُ شـكـوى الغـرام
 وارتـشـشـف مـقـبـلـه
 وضـمَّـهُ والثـمَّـه واخـلـع
 بـالـعـنـاق حـالـه
 وعـضَّ فـوق غـصـنـه
 رـمـانـة مـدالـة

وَعَنِّيْهِ لِحَنِّ الْهُوَى

مَنْ بَعْدَ أَنْ تَقْبَلَهُ

ذاك هو اللقاء الحسي بين المحبين القبلة والعناق والاندماج الكامل بمقدماته ونهاياته كما يراها الشعراء دوماً على مختلف أزمانهم إنه غزل الشعراء في ملهاتهم وقد امتلأت به الدواوين وشاعرنا على عفته وتحفظه واحد منهم يتجول في رياض النساء ويستجلي محاسنهن بالكلمة الناطقة والصورة المعبرة.

ذلكم هو الشاعر الكبير الشيخ عبدالله بن علي الخليلي الذي ملأ الساحة العُمانية بشعره العذب الجميل لأكثر من نصف قرن. وهذه كلمة مختصرة عنه توجز ولا تفصل كنوع من التعريف بهذا الشاعر وشعره.

٣ - الشيخ الشاعر عبدالله الخليلي

سالم بن محمد بن أحمد العبري^(١)

إذا كانت البشرية أجيال تتوالى جيلاً بعد جيل يودع ليحلّ محله جيل ثانٍ في الصدارة، وجيل في التثنية، فإن الثقافة عامة والشعر خاصة يتميزان بنفس آلية التتابع، ففي ثلاثينيات القرن الهجري الرابع عشر كانت أشعار الشيخ السالمي عبدالله بن حميد تنصدر المجالس والإلقاء والاستشهاد بها وتضمينها في الخطب والكلمات، فجوهر النظام لم يقتصر على الأحكام الفقهية بل كان منظومة فقهية تخاطب كل الاتجاهات والأذواق والميول لتحل هذه المنظومات والقصائد محل الأشعار السابقة التي كانت شائعة، والتي كانت تنصدرها أشعار الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي جد شاعرنا المقصود بهذه السطور وهو الشيخ عبدالله بن علي بن عبدالله بن سعيد بن خلفان الخليلي وكانت أشعار جده تتمحور في الاستهزاء وتسجيل الأحداث والتصوف الذي أبدع فيه.

وزاملت أشعار الشيخ نور الدين السالمي أشعار ابن عمومته الشيخ بن شيخان والتي كانت سجلاً تاريخياً لأحداث تلك الحقبة المعاصرة له إلى جانب ما اشتهرت به قصائده من الحكمة والتوبيخ والتوجيه ثم، بدأت في هذه الفترة ترد

(١) عضو مجلس الشورى سابقاً (١٩٩١ - ٢٠٠٠م).

- مستشار بمكتب وزير التعليم العالي (٢٠٠١ - ٢٠١٥م).

- مستشار إعلامي بمكتب وزير الإعلام (١٩٨٨ - ١٩٩١م).

- ملحق إعلامي بسفارة السلطنة (١٩٨٤ - ١٩٨٨م).

- مدير العلاقات العامة بوزارة الإعلام (١٩٨٣ - ١٩٨٤م).

أشعار البهلاني الشيخ ناصر بن سالم بن عديم البهلاني من زنجبار والتي كانت أيضاً في الاستنهاض والتصوف والتغني بالتاريخ العُماني، ليولد الشيخ الشاعر عبدالله الخليلي المالك للعربية فصاحة ونحوًا وللتاريخ اهتمامًا وتغنيًا خصوصًا أن جده أحد صُنّاع التاريخ وعمه الإمام محمد بن عبدالله الخليلي هو قدوة في العلم والزهد والورع والبذل والتضحية وتقدير الأمور بعين الحقيقة والقدرة والإمكانات. لذلك فإن شاعرنا عبدالله الخليلي وهو إذ قد عرض أول شعره على عمه العلامة الإمام ليجد التوجيه والنقد البناء وإن كان قاسيًا في حينه لذلك فإن شاعرنا الخليلي قد عاش وهو بالمهد في بيئة من العلوم العربية والفقهية والتاريخية والشعرية ونهل من فحول الشعراء وعلى رأسهم جده، والأشعار السائدة حين نشأته كأشعار الشيخ السالمي وابن شيخان وغيرهم من شعراء تلك الفترة وفقهاؤها، لتعوده التنقيب والمعيشة والاستيعاب لشعراء عمان السابقين كشعراء فترة اليعاربة كالسّالي وشعراء النباهنة كنبهاني الذي تصادف أن أصدر ديوانه مطبوعًا بدمشق معلق عليه من قبل العلامة الشيخ عز الدين التتوخي، وقد تكون أشعار الشيخ جاعد بن خميس الخروصي وابنه الشيخ ناصر بن جاعد الخروصي قد أثرت فيه بصفة خاصة إذ تربطه بهما رابطة النسب ثم ليجد نفسه مع رموز الشعر العربي في مختلف العصور انطلاقًا من الجاهلي ومعلقاته وإلى أشعار حسان بن ثابت وكعب بن زهير والخنساء عند البعثة النبوية الشريفة. والمتابع لشعره في مختلف مراحل حياته وتنوع الأغراض يكاد يجزم بأن الشاعر الخليلي قد نهل واستسخر وتمثل رموز تلك الحقب بحيث يمكن القول بأنه قد حواهم جميعًا في الشاعرية والحكمة والإباء والافتخار والسرد ونازلهم لغويًا، وإن كان هو مع هذا الاتجاه الشعر العربي الضارب في القدم، فإنه لم يَطأ طيئ الرأس عندما شاعت توجهات جديدة بالشعر العربي فأخذ يتتبع شعراء المهجر في تنوعاتهم وتصوراتهم

وشعراء المقاومة ليسير في ركبهم كندٍ لهم ليعطي عُمان وجيله العماني مشاركة في الشعر العربي في هذه الفترة، ثم لم تقتصر خطواته على مقاربتة ومنازلته ذلك الرعيل من شعراء العروبة بل مد نظره واهتمامه إلى شعراء الحداثة في العراق والشام ومصر فأبت شاعريته وأبى اهتمامه وإبائه إلا التفاعل مع هذا الاتجاه فساهم بديوانه «على ركاب الجمهور» وشارك بالشعر المسرحي... والحقيقة أن الفترة العربية التي واكبت كهولته الشيخ عبدالله بن علي الخليلي كانت غنية حيث وفرت زاداً ودافعاً ومنافسة لكل ذي موهبة شعرية كالشاعر الخليلي.

حين ولادته كانت بيعة عمه الإمام الخليلي لينشأ في بيت قلما توافر لشاعر مثله علماً وريادة ومالاً وفرغه للعلم والبحث والمطالعة واغترف من الممارسة رصيماً يضاف للشاعرية والرغبة لذلك لا عجب أن يتبوأ الخليلي قمة الشعر العُماني ليس في عصره فقط بل سيبقى شاعر عُمان والعروبة بلا منازع إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

كانت معرفتي بشعر الخليلي عبدالله مع بداية تعلمنا للغة العربية على يد والدي رحمه الله، مع مطلع ثمانينات القرن الهجري الماضي، وحيث إن الحواضر العمانية تتبادل الإنتاج العلمي من فقه وشعر وتاريخ، وكانت الحمراء كسمائل، وكانت المرجعية العلمية قد انتقلت إلى العلامة الشيخ إبراهيم بن سعيد بن محسن العبري فتأتي إليه الوفود للفتوى والقضاء وترسل إليه المراسلات والخطابات النثرية والشعرية تواصلاً أو سؤالاً أو استيضاحاً، وكان لرجالات سمائل السبق سواء من الشيخ الشاعر عبدالله الخليلي أم من الشيخ خلفان بن جميل السيابي ثم من بعض المتعلمين معه كالقاضي حميد بن عبدالله (أبو سرور)، وعلي بن جبر الجبري، وكانت أجوبة العلامة العبري للأسئلة الفقهية أو اللغوية ترسل إلى المدن والحواضر والمدارس العمانية فتداول وتشيع بين الناس والمتعلمين والرواة، وهكذا كانت تصل

أشعار الخليلي وأجوبة السيابي وأمثالهم إلى الحمراء فتقرأ في مجالس الآباء بيت العلامة أو مجلس الخطيوة الصيفي، أو المجالس العامة كسبلة الصلف ومسجدها. وكانت نشأة الشاعر الخليلي مواكبة لنشأة شاعر آخر تغنى بعمان وتاريخها وأحداثها وقد يكون قد سبق الخليلي في الاهتمام بالشعر القومي العربي وهو الشيخ الأمير صقر بن سلطان بن سالم القاسمي، والشاعران حظيا ببيئة أسرية وعلمية متشابحة وكان والدي رحمه الله على تواصل مع الشيخ القاسمي فكانت أشعاره في خزانة كتب أبي بغرقتا أعلى رأسي عند المنام، فكانت بيني وبين الشعارين صلة بشعرهما منذ الصبا.

لذلك كان اهتمامي بهما عندما قُدر لي التواصل الثقافي فإن كنت قد التقيت الشيخ الشاعر الخليلي مع الآباء في نزوى ومسقط فإن أول لقاء حوارى معه كان عندما كانت لدي رغبة الإلمام بالعمل الإعلامي فتواصلت مع إذاعات القاهرة وصوت العرب على وجه الخصوص، ثم وُجِّهْتُ كمتدرب بإذاعة صوت العرب منذ ١٩٧٥م في أثناء دراستي الجامعية فأجريت عدة حوارات مع شخصيات عُمانية في تلك الآونة وكان على رأسهم الشاعر الخليلي حيث تم اللقاء بمنزلهم المشهور بسمائل حيث الحديقة الغناء وخرير المياه وهدوء المكان وأذيعت تلك التسجيلات ببرنامج الجزيرة والبرامج المتنوعة كاللقاء المفتوح الذي كان يبثه صوت العرب. وحين بدأ العمانيون يخرجون من حالة ملازمة الأرض العمانية إلى السياحة والتواصل العربي كان الشيخ الشاعر الخليلي من أوائل المرتادين للقاهرة، ولقيت من الشخصيات منهم العلامة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي فكنا نحرص على السلام عليهم بوصفهم شخصيات عُمانية وكنت أنظم اللقاءات معهم للإعلاميين المتواصلين معي والمكلفين بمثل هذه التسجيلات كزكريا شليل، ورباب البدرابي، ومها صبري لبرنامج حديث الذكريات،

ولما قدّر لي العمل بالسفارة مسؤولاً إعلامياً (١٩٨٤- ١٩٨٨م) م كانت الفرصة مهيئة لي للقاء من كان شعره من سوابق ما حفظت وهو الشيخ صقر بن سلطان القاسمي لتتوالى اللقاءات ببيته بمصر الجديدة وفي محل إقامتي، والصالونات المختلفة كصالون الشيخ إبراهيم فودة ورابطة شعراء العروبة، لكن اللقاء الذي كان يجب أن يكتب ويصور بالذهب هو لقاء الشيخين صقر بن سلطان القاسمي وعبدالله بن علي الخليلي بمقر سكني في حينه بشارع سوريا بالمهندسين إذ كان الشيخ الخليلي يقيم بالعمارة نفسها بالدور السابع وكنت أقيم بالثاني، وكان الشاعران جارفا الرغبة في اللقاء وكان علي أن استضيفهما بمنزلي المتواضع مع لفيف من الحضور كان منهم الأخ الشاعر سعيد الصقلاوي، والدكتور مصطفى الشكعة، والشاعر الفلسطيني على هاشم رشيد، والشاعر السوري الراحل محمد رائف المعري، والشاعرتان المصريتان عليا الجعار وزينب أبو النجا. وكان مصعد العمارة معطلاً والشيخ الخليلي قد أوهنه المرض ومثله الشيخ القاسمي أودى به السجن والمرض فكان بلوغهما للقاء مهمة ليست سهلة لكنهما اندفعا بقوة لم نكن نتوقعها فوصلا مجلس اللقاء فكان لقاؤهما لقاء روح وإخاء ومحبة ولقاء ندين ربما اشتاقا منذ زمن لهذا اللقاء فيندر أن ترى هذه المحبة والتعلق بينهما وأن يرى لقاء مثله لكننا لم نكن في حينة على مستوى الحدث والموقف فلم أجد صورة قريبة مني لذلك العناق بين قطبين عربيين خرجا من الوطنية والإقليمية إلى آفاق الأمة العربية والعالمية رحمهما الله.

فمضى يا سالم لقيانا غدا

في عُمان تحت ظلّ السّلم

٤ - شيخ البيان (عبدالله الخليلي)

د . سعيدة بنت خاطر الفارسي

عبدالله بن علي الخليلي هو شيخ جليل، ورث الشعر من عدة فروع، فتأصل فيه وأورق، لم يكن فارق العمر بيني وبينه يسمح لنا بعلاقة مزاملة، فهو من جيل ومن مدرسة ومن منطلق مختلف، وهو ينتمي بامتياز إلى المدرسة الكلاسيكية ذات الأطر الصارمة في المحافظة على الموروث، وهيكلية بناء القصيدة العمودية، وهو تربية بيئة صارمة أيضاً في أصولياتها، وأسرة تقبض بيدها على الزعامة الدينية ذات الصبغة السياسية، ولقد ألقى كل هذا على شعره ظلالاً واضحة لم يستطع منها فكاًكاً، ومن ثم كانت أغراضه الشعرية واضحة ومتسقة مع ما يحيط به ومع الموروث الشعري العربي بشكل عام، بل مع ما ينوء به كتفه من أعباء وقيود فرضت على الشاعر وشعريته، الأمر الذي حد من حرية التناول في بعض الأغراض الشعرية، ناهيك بحرية التجريب، ومع كل هذا فإن الرجل كان من ذلك الجيل المثقف المحب للشعر والأدب والتاريخ، وهو جيل كان يقف مشجعاً ومسانداً للمرأة المتميزة علمياً وأدبياً، وكانت ذكرياتي معه ومع أبناء جيله إيجابية دافعة ومشجعة، وكان يقرأ ما ينشر لي عبر الصحف والجرائد إلى أن نشرت قصيدة وطنية عمودية طويلة في جريدة عُمان، قيل لي فيما بعد أن الشيخ كان معجباً بها ويترنم ببعض أبياتها، ثم توالى النشر، وتوقف الشيخ - كما توقف غيره - لدى نص لي بعنوان أمومة يقول مفتتحه:

إذا ماتكُورَت في داخلي

وأثقلت جسمًا خفيًا خلي

ورحلت تلملم روح الحياة فلم يبق شيء سوى الآه لي

الأمر الذي جعل الشيخ يلقبني بخنساء عمان، وعندما أهديته ديواني الأول (مدّ في بحر الأعماق) - وهو أول ديوان شعري عُمانِي نسائي مطبوع - قال لي: «تنبأت منذ أن استمعتُ إليك أول مرة، إنك ستكونين خنساء عمان، فلا تتراجعي»، كانت كلماتها لها فعل السحر في النفس، وعجبتُ كيف لرجل في مثل سنه وفي مكانته الدينية، أن يوافق على مشاركة شابة صغيرة بمفردها بين عشرات الرجال في الأمسيات الشعرية والثقافية، حقاً لقد كان لذلك الجيل عقلية متفتحة مختلفة عن عقلية الشباب المتدين الحالي، المتسم بقلّة المعرفة والتعصب الديني، وكان جيل الآباء - والشيخ واحد منهم - موسوعي الثقافة متعدد المشارب، وعندما كان بعض الزملاء يحكون لي عن مجلسه الشعري الذي يضم مجموعة من محبي الأدب والشعر والنقد، طلبتُ من أحدهم أن يسأل: إذا كان حضور المرأة ممكناً، لكن الرد جاء بالنفي القاطع .

ولم أكن أعي آنذاك أن الشيخ في حد ذاته، لا مانع لديه لكن القيود المحيطة به تكبل قناعاته الذاتية، ويضطر كثيراً للخضوع لها وعدم تخطيها أو كسرها، فهو جزء من المنظومة الاجتماعية الصعبة للنظام المتوارث .

وعندما جاءت الباحثة الكويتية الدكتورة نورية الرومي وألقت محاضرتها عن شيخ البيان في جمعية المرأة العمانية، طرحتُ عليها أسئلة عن جدوى إمارة الشعر ومشيخته كالألقاب تمنح لبعض الشعراء، وربما كانت أسئلتي لم تعجب نساء أسرة الشيخ، اللاتي اعتبرنها نوعاً من الاعتراض على اللقب الممنوح له، وذلك وفق ما تبين من حوارهن والردود، الأمر الذي جعلني لا أنشجع لمرافقة الضيفة لمنزل الشيخ بعد المحاضرة ، رغم أن الدعوة كانت مسبقاً موجهة لي .

وبعد سنوات قضيتها في الدراسات العليا حول الأدب العماني القديم، وقعتُ في فخ فصل الموسيقى، كانت موسيقى المادة كلها تقوم على بحور الشعر الخليلية، وأنا لا أجيد علم العروض الذي حاولتُ أستاذتي الرائعة نازك الملائكة بجامعة الكويت، جاهدة أن تعلمنا إياه بطريقة موسيقية محببة وجميلة، استفادت منها زميلتي الشاعرة الكويتية نجمة إدريس، لكن بلا فائدة من جانبي أنا على الأقل، هنا فكرتُ في الاستعانة بكبار الشعراء العمانيين في إجازة الصيف للاستفادة منهم في كتابة الفصل، كانت صدمتي كبيرة عندما اتصلتُ بكثير من الشعراء واعتذروا، لعدم درايتهم بالعروض .

أخيرا كلمت الشيخ عبدالله على استحياء، وجاء رده مستغرباً ومفاجئاً لي .. فقد قالها بوضوح : «إننا نوزن سماعي ولا علم لي بالعروض»، هنا تذكرتُ أن الشاعر موسيقي الأذن بالفطرة، وأنني أكتب الشعر بالطريقة ذاتها، إذ إن الشعر جاء قبل علم العروض وتقنيته . ودرستُ العروض في جامعتي (جامعة القاهرة، كلية دار العلوم) من جديد خلال فصل دراسي مكثف، ليصبح لي ذخيرة علمية مفيدة في مجال كتابتي الشعرية، وتخصصي النقدي .

بعد سنوات التقيتُ بدارس عماني بالقاهرة، اختار نتاج الشيخ الخليلي لتحضير الماجستير، وقد ركز على الصورة الشعرية لدى الخليلي كعنوان للدراسة، وحتى أشركه في الرأي كان لابد من قراءة نتاج الشيخ، وهكذا حصل، لكن فكرتي عن شعر الخليلي منذ البدء كانت صائبة، إذ من الصعب البحث عن تجديد صوري أو صور متفردة خاصة تحمل بصمة صاحبها في هكذا نتاج، وقد اتخذ في عمومه ذات الصور البيانية التقليدية المتوارثة، مركزاً على الصورة التشبيهية خاصة، والاستعارية أحياناً، ولما كانت الدراسة تحتاج لعمق، ولمادة جيدة تغطي المبحث اقترحتُ على الباحث أن يركز على عموم تجربة الشيخ، وخاصة المعجم والظواهر اللغوية والأسلوبية، مركزاً على البيان والبلاغة العربية القديمة في لغته، حيث يكمن تميز الخليلي، وسبب تلقيه بشيخ البيان .

٥ - الاحتفاء بعبد الله الخليلي ...

عبدالرزاق الربيعي

شاعر وكاتب عراقي يقيم بسلطنة عمان

لبعض القامات الشعرية الكلاسيكية هيبة، تشبه الهيبة التي يحتلها الجواهري في الشعرية العراقية، ومحمود سامي البارودي في مصر، وبدوي الجبل في سوريا، وعرار في الأردن، ومفدى زكريا في الجزائر، وإبراهيم طوقان في فلسطين، وأبوالقاسم الشابي في تونس، وقد وجدت للشاعر الشيخ أمير البيان عبدالله الخليلي «١٩٢٢-٢٠٠٠» هيبة في الشعرية العمانيّة، لا ينافيها عليها سوى شيخه الشاعر أبو مسلم البهلاني «١٨٦٠ - ١٩٢٠» الذي بدأ به الشعر العماني الكلاسيكي الجديد، فواصل السير، وفق النهج الذي اختطه شيخه الذي تجاوز الأغراض التقليدية السائدة التي تغلب عليها الموضوعات الفقهية، والتعليمية، تلك التي تنسج ضمن قوالب بلاغية تقليدية جعلت الشعر يدور في فلك الموروثات الشعرية، وهو نهج ليس من السهل الاقتداء به، لشاعر نشأ في بيئة شعرية تقليدية، محافظة، تتوء بثقل موروثات، وصيغ جاهزة، هذا النهج يحتاج إلى شاعر يتسلح بجرأة، وموهبة فذة، وقدرة على التخطي والتجاوز، وقد توفرت هذه الصفات لدى الخليلي، رغم أنه لم يخرج تماماً على سطوة النص الشعري التقليدي، غير أنه بالوقت نفسه لم يقع أسيراً لها، فأفلت من هيمنتها، بل خرج حتى على نظام البيت التقليدي المتوارث، فاستفاد من التقنيات الأسلوبية لقصيدة «التفعيلة» بديوانه «على ركاب الجمهور» لكسر القوالب الكلاسيكية الجامدة، وفتح نوافذ نصّه على هواء يسبح في فضاءات تتيح له التعبير عن خلجات الذات، بلغة حديثة، وصور

نابضة بالحياة، لا تتهل من معين الذاكرة إلا ضمن حدود معينة تملئها الضرورات
التي تواجه كل شاعر يسعى إلى الإنطلاق من ثقل القوالب التي تكبل نصّه :

أضاعني هزلي فماذا أعملُ
أضعت قومي وهم لي مؤئلُ
وعشت في غيبوبة أعْلَلُ النُّ
نفس المنى... هيهات لا تعلُّ

لذا فقد كتب في المواعظ الفقهية، والمعارضات الشعرية، والمراثي والموشحات،
والشعر الوطني، والوجداني وناقش موضوعات إجتماعية، وقد عبّر عن تلك
الموضوعات كلها بروح جديدة، وكتب في الغزل، فجاء غزله رقيقاً:

قفيني على زهـرة الزنبق
وهـزّي كياني ولا تشفّقي
وبوحي بحبك بين الـورى
ليدري السعيد به والشقي
وهيّا بنا نقطع الرّوضتين
إلى الشّاطئين إلى الزّورق

وناجى الطبيعة، فحمل نصّه بذوراً رومانسية :
يا ساري البرق هذا الرّوح والرّوحُ
فهل لديك لمّا أمطرت تلقّيحُ
با برق قف في ربيعي باكيًا فلقد
تضحكا لك فيه الروح والروح

طرق باب الشعر القصصي في ديوانه «بين الحقيقة والخيال»، والمقامات
ومنها: المقامة النزوية، والتساؤلية، واللغوية، والجعلانية، والسماثلية، والسمدية،
ونشر مطارحات شعرية جرت بينه وبين الشعراء والفقهاء الذين عايشهم بكتابه

«بين الفقه والأدب»، وكذلك الشعر المسرحي فى مسرحية «جذيمة والملك» لذا يمكن رائد الشعر المسرحي فى السلطنة رغم إن السرد يغلب على بنائها :

رُبَّة الملك هذه العَيْرُ تسعى
فانظريها قالت: بحقِ أروني
أحديداً أم جنوداً في مطاها
حملت أم أساوراً من طين
هكذا العقل والذكاء ولكن
قدر الله واقع التكوين
فسرّت صيحةً فبادرتِ الرُّبُ
ببَاء للسرب خوف شرّ المنون

لقد ترك الخليلى نتاجاً شعرياً ضخماً، لكن، للأسف الشديد، لم يطبع منه إلا القليل، من ذلك ديوانه «وحي العبقريّة»، وقصيدة «وحي النهى»، وكتابه «بين الفقه والأدب»، وديوانه «على ركاب الجمهور»، ، فالكثير من شعره مازال مخطوطاً، ولم ير النور، وحين استفسرت عن ذلك من أسرته، فقل لي :إنّ مخطوطاته تحتاج إلى مراجعات، ومتابعة، ولم يتسنّ له ذلك إذ أصيب عام ١٩٨٢م بالشلل الرعاش، وظل يصارع المرض حتى أمضى السنوات الثلاث الأخيرة فاقد الوعي حتى أسلمَ الروح إلى بارئها يوم ٣٠ يوليو ٢٠٠٠م، لذا لم يأخذ شعره نصيبه من النشر، والقراءة، والدراسة، كما إن «الحيز الجغرافي العُماني له دور في ذلك» كما قال الأديب أحمد الفلاحى مشيراً بألم «لو ظهر أمثال هؤلاء في دمشق أو القاهرة أو بيروت لكانوا ملء الدنيا العربية»

ويؤكد ولده الشيخ محمد الخليلى في تصريح أدلى به للكاتب محمد الحضرمي، نشر بصحيفة عمان «في السنة الأخيرة من حياة الشاعر عبدالله الخليلى كان قد انتهى من تجميع قصائده غير المنشورة في ديوان أسماه «فارس

الضاد»، وهو بحجم «وحي العبقريّة»، ولكنه لم ينشر، ومضت السنوات على هذا الديوان، فجاءت الفكرة إلى إصدار «فارس الضاد» محققاً ومشروحاً، بحاشية تعطي معاني المفردات تسهيلاً للقارئ، وأخذ تحقيق الديوان ما يقرب من ثلاث سنوات، تقاسم العمل عليه الأديبان الشاعران: حسن بن خلف الريامي، وعامر بن المر الصبحي»، ويشير الشيخ محمد الخليلي، إنّ أسرته تسعى لطباعة كل الأعمال الأدبية والنثرية للشاعر، لتصدر في مجموعة كاملة، تضم دواوينه المنشورة سابقاً، وأعماله التي لم تنشر، مثل: ديوان فارس الضاد، والمقامات والمجتمليات.

وحسناً فعلت مؤسسة جائزة عبدالعزيز بن سعود البابطين للإبداع الشعري بتكريم هذا الشاعر العماني الكبير ، إلى جانب الشاعر الكويتي راشد السيف، في التفاتة رائعة لإنزال الشعراء الكبار منازلهم التي يستحقّون ، فتكريم الخليلي هو تكريم للتجربة الشعريّة العمانيّة كونه يمثّل قامة رفيعة من قاماتها السامقة .

٦ - حكايا الأستاذ والتلميذ

منى بنت حبراس السليمية

كنت ما أزال في السادسة عشرة عندما وافت المنية أمير البيان الشيخ عبدالله بن علي الخليلي في الـ ٣٠ من يوليو ٢٠٠٠م، وكنت في الرابعة والعشرين عندما وافت أبي في الـ ٢٥ من أغسطس ٢٠٠٨م، لذا فإن الذاكرة حديثة جداً مقارنة بتاريخ علاقة جمعت التلميذ بالأستاذ، وأعلم سلفاً أن ما سأسرده ليس بالوفرة التي تسد توق الباحث في حياة أحدهما أو كليهما، وهي حكايات قليلة، بعضها شهدته، وبعضها مما حكاها لنا والدي يرحمه الله عن أستاذه.

لقد كان تأثير الشيخ عبدالله الخليلي في مسيرة والدي الشعرية تأثيراً خاصاً، بل أحسب أنه بلغ من العمق مبلغاً كبيراً، تجاوز حدود العلاقة الشعرية إلى علاقة إنسانية نبيلة؛ فقد كان مجلس الشيخ الخليلي الأسبوعي موعداً يحرص والدي على حضوره، ولا يكاد يتخلف عنه إلا لسبب قاهر.

وقد وثّق والدي كثيراً مما كان يدور في مجلس الشيخ الخليلي في قصائد شعرية، تكشف كثيراً مما كان يدور في مجلسه العامر بالرواد والمريدين، ولعل «المطارحة الودية» التي جمعها الشيخ الخليلي وقدم لها - وقد أثبتتها والدي في ديوانه «فيض الإحساس» ص ١٣٩ - توثق جانباً مهماً مما كان يدور في المجالس الأدبية السمائية.

فضلاً عما يتعدى حدود هذا المجلس - وغيره من المجالس - من مراسلات شعرية تتضمن أسئلة شعرية وأجوبة تنسج على المنوال نفسه بحرّاً وقافية،

وهي قصائد كان يجد والدي لذة في كتابتها، ويبقى متشوقاً في انتظار جواب أستاذ عزيز، وقد وثق في ديوانه قصيدتين له وجههما لأستاذه الشيخ الخليلي، وقصيدتين للخليلي جواباً على قصيدتيه، بالإضافة إلى قصائد أخرى وجهها للشيخ محمد بن راشد بن عزيز الخصيبي، والشيخ سعيد بن خلف بن محمد الخروصي، وأجوبتهم.

وكان صوت والدي وهو يُنشد الشعر يحظى بإعجاب أستاذه الخليلي، وهو ما حوَّله أن ينوب عن أستاذه في الأمسيات الشعرية التي يُدعى إليها الخليلي ويتعذّر عليه حضورها لأسباب صحية، فيرشح لها والدي يقرأ عنه أشعاره، فألقى عنه قصيدته «شبح الهوى» في مهرجان الشعر العُماني الأول، كما ناب عنه في أمسية شعرية بجامعة السلطان قابوس في التسعينيات، ولا تزال الجامعة تحتفظ بتسجيلاتها المراثية.

ولعل من الذكريات التي شهدتها لوالدي مع الشيخ الخليلي، زيارة نادرة للشيخ قام بها لبيتنا في «المدرة»، وكان قد قدّم له - مع قهوة الضيافة ولوازمها - طبقاً من الحلوى المعمولة في البيت، كانت تسمّى «أصابع زينب»، وبدا أنها راقت للشيخ الخليلي الذي أولاها عنايته دون سواها، ولكنه اضطر بسبب موعد دوائه إلى العودة إلى بيت السبحية ولم يكن قد اكتفى منها، فطلب إلى والدي طبقاً مماثلاً، أخذه له لاحقاً إلى بيت السبحية.

ومما أذكره كذلك، مرور الشيخ الخليلي على والدي بسيارته التي يقوده فيها سائق آسيوي، وكان الشيخ يومها مشغول البال بقصيدة تلح على قريحته، فخرجا في السيارة يستقلان المقاعد الخلفية، يجوبان أنحاء سمائل، يملي الشيخ قصيدته على والدي ما طال بهما الوقت، ولم تعد السيارة بهما إلا والقصيدة قد اكتملت.

وأحسب أن تسمية القصائد التي تنجز في ليلة واحدة بـ «بنت ليلة» أنها من تسميات الشيخ الخليلي، وهو الاسم نفسه الذي أطلقه والدي عنواناً فرعياً في

رثائه للشيخ الخليلي لاحقاً، والتي حملت عنوان: (فقيد الضاد، بنت ليلة حزن)،
كعنوان فرعي/ أو إن شئت تصنيفي.

وقد تأثر أبي أيماً تأثر بوفاة الشيخ الخليلي، ولعل ذلك يظهر جلياً في قصيدته
التي كتبها في رثائه، وهي قصيدة من أطول قصائد ديوانه «فيض الإحساس» الذي
لم يرَ النور إلا بعد وفاة والدي بخمسة أعوام، ويقول في مطلعها:

ودَّعَ البدر مجتلى الأنوار
فاختفى ضوء بسمة الأقمار
وتداعت له النُجوم وغارت
وتوارت خلف المدى والمدار
فبدا الكون مُكْفَهَرُ المحيَا
يرتدي بردةً من الأكـدار
حارت الكائنات في ظلماتٍ
أسدلت ثوبها يد الأقـدار

إلى آخر القصيدة (فيض الإحساس، ص ١٦١)

وقد رثى نجل الشيخ الخليلي - وريث البيان - الشيخ محمد بن عبدالله
الخليلي والذي بقصيدة عنوانها «الشاعر الفقيد»، يقول في مطلعها:

أزرى به الدَّهر أم أسرى به القدر
فبات في أفق الأنثى يحتضرُ
أم رافق الأين نحو البين أم سرحت
به سباع الطَّوى أم خانه الحذر
أم ساومته على آماله سِنَّةً
من نومه أم شرى آلامه السهر

ما أصعب الموت لولا أنَّه قدر
وأنَّه سيفٌ عدلٍ غمده البشر
إلى آخر القصيدة (فيض الإحساس، ص ٢١٧)

٧ - عبدالله الخليلي في ميزان النقد والإبداع

ناصر أبو عون

الشعر جدولٌ ينساب في أرضٍ حصباءٍها الخيال، وسماؤها المعنى، وشجرها الشعور، وثمارها الفكر، وحورها الصورُ الشعرية المتولدة من رحم الفكرة. هذا ما آمنتُ به منذ إطلائي الأولى على عوالم الشعر في صباي وشببتُ عن الطوق ومازال الشعر يحاصرني وقواعده تروادني، وحكمته تساورني بين عشية وضحاها، وموسيقاه تأسرني، وصورته تغازلني، ومعناه يأخذني بعيداً إلى بهو المفكرين والمناطق، ولفظه يجادلني ويلبسني حُلّة مطرزةً من الإبداع.

هذا عن الشعر أما عن أمير البيان الشاعر عبدالله الخليلي فقد قرأتُ شعره وطالعتُ شيئاً من سيرته من مجالسة العديد من شعراء وأدباء عُمان وخاصة الذين آمنوا بالماضي التليد، وتحصنوا بتراثنا العتيق، وأبقوا على شعرة معاوية، وحفظوا الصلة بينهم، وبين أجدادنا العظام، ومنهم ثلة يزنون الكلام بموازين الذهب والأحجار الكريمة، ويرون في التواصل مع تاريخنا العربي القديم صلة رحم، وأصالة فطرية، واتصالاً بالإبداع، ونجواً من مرضٍ عضال ضرب جذور ثقافتنا صدرته إلينا (النخبة النكبة) ممن تمسحوا بالتجديد وادّعوا الحداثة، وروجوا لنظرية (قتل الأب).

ومن هذه الفرقة الناجية من أدران الحداثة، الشاعر سعيد الصقلاوي الذي يتشبث بشجرة الأصالة العربية وترتبط جذوره الشعرية بأصلها الثابت في التربة العربية وفرعها العُماني الذي يطاول عنان السماء. دون أن يقطع اتصاله المادي

والروحي بالحادثة في معناها الحقيقي، ولم يرتَم في مهاوي الردى، أو يقذف بفكره وشعره ولغته في بحرها فلم تَدنسه أدارنها، ولم يخرج منها خائفاً يترقب كغيره من الماضين في جنونهم والمارقين في غيهم من الذين أفسدوا الحرف وندسوا الصحائف بزعم تفجير اللغة، وقطع أواصر القربى مع الآباء والأجداد طلباً لرضا المتمسحين في الحادثة وهم لا يعرفون عنها شيئاً ولم يخبروها لا واقعاً ولا إبداعاً. عرفتُ عبدالله الخليلي شاعراً فطرياً تمكَّنت منه صنعة الشعر فخبورها، وراح يزن كلماته على منوالها، ويدبج صورها على مقاييسها، ويصوغ حروفه على ميزانها، يداعب أصدقاءه شعراً، ويمازح جلساءه رَجْزاً، ويحاور رفقاءه قافيةً وعروضاً، ويسامرُ أبناءه فناً وموسيقى، ويكتب رأيه وفَقْهَه قصائد تترى تؤرخ لسلطنة عُمان (تاريخاً وفكراً)، ويسجِّل أفكاره على مثال القدماء، ويعارض الشعراء العصور الإسلامية وما قبلها حرفاً وقافيةً، وينسج على عيون الشعر العربي ملاحم تفتن القارئ وتأخذه إلى عصر الصنعة والزخرفة والصورة الشعرية المسبوكة على قوالب خاصة. وفي هذا الفن نجح الخليل في تخميس «بردة البوصيري» بثلاثة أوجه، وضمَّها في ديوان متكامل أسماه «المجتليات»، وهو عمل فريد في تخميسه لهذه القصيدة الطويلة، كما حاول تخميس «همزية البوصيري» ولكنه لم ينجزها، بسبب مصارحته للمرض.

وفي مراسلاته الشعرية خير مثال على ما قدَّمنا فقد كان يتخذ من الشعر وسيلة لمراسلة العلماء والشعراء، وقد راسل عدداً من الأعلام العرب كعز الدين التتوخي، وله ديوان «بين الفقه والأدب» يحوي قصائد فيها أسئلة وأجوبة بين الشاعر وغيره، ومن قصائده (سؤال للشيخ حمد السليمي) الذي بادره بالجواب بقصيدة تجاري سؤاله، وقصيدة (هبة العليم) التي قرَّض فيها كتباً ثلاثة لشيخه خلفان بن جميل السيابي وهي (سلك الدر، وفصول الأصول، وبهجة المجالس).

وإذا كان لكل شاعر سمة يتفرد بها على أقران عصره فإن الشاعر عبد الخليلي (١٩٢٢ ٢٠٠٠) الذي عاش حياة حافلة بالشعر والأدب والفلسفة والتتبع الثقافي فاتسعت مداركه ومواهبه واتسعت دائرة إبداعه. له السبق التاريخي في ريادة الشعر المسرحي في سلطنة عُمان، حيث قدم مسرحية (جذيمة والملك) التي استقي أحداثها من عصر ما قبل الإسلام مستغلاً معرفته بالسرد القصصي.

وازدادت معرفتي أكثر تأسلاً بالشاعر عبدالله الخليلي بعد مطالعتي مخطوطة كتاب تضم مختارات من شعره جمعها الشاعر العراقي عبدالرزاق الربيعي مسبوقة بدراسة مطولة للشاعر سعيد الصقلاوي عن الشاعر يستعرض فيها الصقلاوي فنون الموسيقى الشعرية وبعضاً من الخطوط العريضة لتجربة الخليلي الشعرية.

وفي هذا الكتاب ينساب الشاعر العُماني عبدالله الخليلي بين صفتين من لؤلؤ يُمناه الشاعر عبدالرزاق الربيعي الذي عكف على قراءته وانتقاء مختارات من شعره يقدمها على طبقٍ من فضة زاداً للقراء يقاتلون عليه في رحلتهم نحو الخلاص عبر صحراء الحداثة إلى أرضٍ بكرٍ بيضاء لم تدنسها ضغينة النثر ولا شطط التفعيلة، ولم يفضّ بكارتها غول الغموض ولا وحشية التأويل. وفي يسراه الشاعر سعيد الصقلاوي الذي انكبّ على دراسة (البناء المعماري) في شعره، وهندسَ فنتته ونحتَ صورته في مخيلة الأجيال الجديدة بإزميل العقل لتبقى ماثلة في ذاكرة عُمان والعرب لا تتمحي، وسكبَ من وعيه النقدي على إبداعه أشعة من ضوء ثقافته، وأطرَ صورته وزججها من نور بصيرته فأضحت شمساً تضيء عتمة العقول التي رانَ على قلبها ما كسبته من خطايا الحداثة، وغواية اللا شعر.

وفي أحاديث الشاعر سعيد الصقلاوي معنى عن إبداع عبدالله الخليلي أكد فيه مراراً أنَّ المكونات اللغوية واللغة الشعرية في قصيدة عبدالله الخليلي، تنجح إلى لغة العصر الأموي والعباسي، حيث تأثر بكثير من شعراء تلك الفترة، ولأنَّ

الشعر في هذه الفترة كان نموذجاً في قوته ونضجه، حتى إن الشاعرين محمود سامي البارودي وأحمد شوقي شربا من نفس المنبع الشعري، ويتميز الشاعر عبدالله الخليلي بحسن السبك اللغوي للمفردات والتراكيب متماسكة، لذلك فمعجمه اللغوي بياني صرف.

وزاد الصقلاوي في التوضيح أكثر فقال: «الذي استطعت أن أستخلصه من رؤية حول عبدالله الخليلي، أنه ظل إلى أخريات حياته يجنح إلى الفلسفة الأخلاقية، وجاءت أحاديثه عن العروبة والاسلام والمجتمع، وفق سياق فلسفي أخلاقي، وكان من الباحثين عن مجتمع محكوم بالأخلاق، وإنسان سوي محكوم بالقيم، وفي هذا الاتجاه لن تجد في شعره خروجاً في اللفظ، وتجاوزاً في الألفاظ الأخرى، وإنما يحاول أن ينتقيها بدقة، وهو حينما يتكلم عن المرأة فهو يتكلم عن الجمال، مدفوعاً بإيمانه بالفلسفة الأخلاقية. أما شعره فيصلح للقراءة في كل مكان وزمان، العيب ليس في شعره ولا في شعر الشعراء، إنما في الثقافة السائدة، هي التي ينبغي أن ترتقي وتتعامل مع اللغة ومضامينها.

مثال على ذلك الشعر الإنجليزي، إذ لا يزال القراء يقرأون شكسبير، ويبسطون لغته لطلاب المدارس، كما يقرأون فولتير أيضاً، لا يوجد ما يمنع من أن نقرأ نماذجنا الشعرية الكبيرة، هذه رموز حضارية، فقط أن نعرف كيف نوصل هذا العطاء ونستفيد منه، وبالتالي فإن شعر الشيخ عبدالله يمكن أن يستفاد منه في كل الاتجاهات، وهو أيضاً استفاد من أبي مسلم البهلاني، والستالي والنبهاني، هذه رموز شعرية حاضرة في وجدان الشاعر الكبير بكل محبة.

ويأتي احتفاء مؤسسة البابطين في دورتها عام ٢٠١٥ بالشاعر عبدالله الخليلي ليس إلا دعوة للباحثين العُمانيين والعرب والمستشرقين المعنيين بالدراسات الشرقية في جانبها اللغوي والأدبي لسبر أغوار قصائد الخليلي وتحقيق وتنقيح

موروثه الشعري، ودعوة لإحياء تراثه ودراسة إبداعه في المحافل الثقافية (عمانيا وعربيا)، وله الفضل والسبق أيضا في إحياء سنة (المجالس الأدبية) بافتتاحه (مجلس الخميس الأدبي) في دارته بولاية سمائل، وبعد أن سكن العاصمة مسقط واصل جلساته الأدبية الأسبوعية في ضاحية القرم، وكان للشاعر الدور الريادي في النهوض الثقافي بالحركة الثقافية والشعرية على وجه الخصوص في سلطنة عُمان عمان حيث منح وسام التكريم من المجلس الأعلى لدول الخليج العربي عام ١٩٨٩ وقلَّده السلطان قابوس المفدى، وسام الإبداع إضافة الي أثره البارز في الحياة السياسية وانتسابه للسلك الدبلوماسي حتي إحالته للتقاعد .

أيُّها العُمانيون هذا شاعركم عبدالله الخليلي يُطلُّ عليكم من قصور الكلمات، يقصُّ عليكم سيرته وينثر رياحين صورته، ويبعث أزهار محبته، جاء في موكبه محمولا على (عرش الشعر) تتقدمه الموسيقى، وتزفُّ جوقة الإبداع، وبين يديه تاريخ وإبداع ينثرا ورد قصائده في مهرجان الكلمات. فاسمعوا واتخذوه نبراسا وقدوةً وعِلْماً خفّاقا وعِلْماً لا ينضب معينه ولا ينكدر جريانه، ولا تتوقف مسيرته.

٨ - أول ما عرفت الشيخ عبدالله بن علي الخليلي

صالح بن علي بن سالم الحميدي

٣ جمادى الأولى ١٤٣٦ هـ

٢٢ فبراير ٢٠١٥ م

أول ما عرفت الشيخ عبدالله بن علي الخليلي في منتصف الثمانينيات من القرن الماضي، عندما كنت طالباً في معهد القضاء الشرعي والوعظ والإرشاد، أخذني أحد الزملاء إلى منزل الشيخ في منطقة القرم في مسقط، إذ أن له حاجة مع الشيخ تتعلق بموضوع في وزارة العدل - هذا أول لقاء مع هذا الشيخ الكريم- وقد سألني عن اسمي ومن أي ولاية، فأخبرته ؛ فإذا هو يعرف أبي عندما كان طالب علم في مدرسة الإمام محمد بن عبدالله الخليلي - رحمه الله- وسألني عن أبي وعن الشيخ العلامة عبدالله بن سالم اللزامي- رحمه الله - وعندما فرغ الزميل من عرض الذي جاء من أجله، ذهب الشيخ إلى داخل منزله وأحضر مجموعة من الكتب والدواوين وارتجل بيتين حفظتهما بعد أن رددتهما في نفسي، وهما:

يا صالحاً ابن علي

هاكها كما ترى

خذ لأبيك نصفها

وللزامي الآخر

بعد هذه الزيارة القصيرة لم أملك لنفسي أمراً إلا التردد على الشيخ، فأتي من روي إلى القرم، في ذلك العهد؛ فإن الشيخ بمثابة الأب الروحي الذي يربي

النفوس، كله مدرسة، كلامه، وجلوسه، وطريقة تعامله مع جلساءه، وتم إنشاء الصالون الأدبي في كل أسبوع يوم الثلاثاء، يحضر هذا المجلس العلماء، والقضاة، والأدباء، والشعراء، كما يغشى مائدته الأغنياء والفقراء، يصدق عليه قول حسان بن ثابت:

الخالطون فقيرهم بغنيهم
والمنعمون على الفقير المرمل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم
شم الأنوف من الطراز الأول

ولا أنسى؛ فإنني كنت أحد المشجعين للأدباء والشعراء في ذلك الوقت بالحضور لهذه الحضرة المباركة التي يجللها حضور الشيخ بالبهاء، والكمال؛ فمن جلس بقرية تعلم منه من غير تعليم.

لقد نلت شرف القراءة بين يدي الشيخ، وهو يقول اعطوا صالح يقرأ، وقد كنت في وقت سابق سمعت قراءة الشيخ من ديوانه في شريط مسجل لعدة قصائد منها (بين القبر المنبر)، (والى الله في اسمائه)، (المصلى) من ديوانه وحي العبقريّة فلما مثلت بين يدي الشيخ أخذت في تقليد تلك القراءة التي كنت شغوفاً بها، وهي القراءة العمانية السمائية، ولم انقطع طيلة تلك السنوات عن هذا المجلس الأدبي الرائع منقطع النظر .

كما إنني اذكر للشيخ بعض الذكريات فهي حاضرة في النفس، فهو يجلس على كرسي معهود في ذلك المجلس، وأمامه طاولة صغيرة يضع فوقها الأقلام بعدة ألوان، ويتفحص قصائده، ويتعهدا بيتاً بيتاً مثل الذي يتعهد الشجرة المثمرة؛ فإن رأى كلمة أو بيتاً لا يروق له امتدت يده إلى المزيل الأبيض وأخذ يباشر ذلك بنفسه

مع ظرفه الصحي الذي يسيطر على جوارحه بالاهتزاز، ويجتهد في الإزالة، وفي الاستبدال، فلذلك نجد أن خطه في الكتاب يختلف عن كتاب الكاتب للقصيدة.

واذكر بأن الشيخ - رحمه الله - أحياناً يكون عندنا في مجلس الشعر إذ تشتد عليه وطأة المرض، فيستأذن جلساءه في الإنصراف، وكان بإمكانه أن يريح بدنه ؛ بل والأغرب من هذا عندما يمتلئ مجلسه بالحاضرين، ويأتي أحد ابنائه بالإعتذار عن حضور الشيخ للأمسية، ويبدأ الشعراء بتلاوة قصائدهم، يأتي الشيخ يتهدى بين شخصين من أبناء البررة، ويقف ويلقي السلام على من حضر، ويقول «سامحوني»، ويعود أدراجه إلى فراشه.

هذه والله هي التربية، وهذه هي المدرسة، وهذا هو التعليم.

وسمعتة لعدة مرات في جلسات متفرقة بأنه يعجبه صوت المؤذن عبدالله بن حميد المعمرى، الذي يرفع الأذان عن طريق الإذاعة العمانية، بأنه جهوري الصوت، وأنه «صهصلق» أورد هذا اللفظ، وأنا شخصياً أعرف الوالد الشيخ عبدالله بن حميد المعمرى، رجل مسن، يعمل كاتباً في المحكمة الشرعية بمسقط، وهو من بلدة الفلج العالي بالرسّاق، وعندما مرض الشيخ الخليلى - رحمه الله - تم ترقيده في المستشفى السلطاني، ترددت كثيراً عليه، وهو فاقداً لما يدور حوله، في غيبوبة طويلة، فعندما أتى إليه كنت شديد الحزن عليه وأضع فمي على أذنه، وأقول له، أنا ولدك صالح بن علي الحميدي، فيأخذ في التحرك كأنه يرحب بي، ثم تذكرت بأنه يعجبه آذان الوالد عبدالله بن حميد المعمرى، فأخذت شريطاً فيه آذان الوالد عبدالله مع آلة تسجيل، واسمعه إياه فيتفاعل مع الآذان بالتحرك في الفراش كأنه يتلذذ بالسماع.

ومن تربيته في أحد الأيام عندما كنت جالساً بجانبه، إذ جاء أحد أولاده ومعه ولده الصغير - حفيد الشيخ - وأخذ الصغير يعبث ببعض موجودات المجلس؛

فناداه أبوه قائلاً: تعال يا أبوي، اجلس، فقال الشيخ عبدالله : لا تقل له يا أبوي
بحضرتي ؛ فهذا درس يلقي على كل من يستفيد .

هذا ما من به الرحمن وما رسخ في الذاكرة في هذه العجالة، اسأل الله عز
وجل لشيخنا المربي الرحمة الواسعة انه سميع مجيب.

٩ - عبدالله بن علي الخليلي ..

شيخ القصيدة العُمانية

محمد بن سليمان الحضرمي

(كاتب وشاعر، يعمل صحفياً بجريدة عُمان)

الشعر شجرة خضراء تنمو في أرض خصبة من عبقرية الإنسان، ضاربة بجذورها الذهبية إلى الأعماق السحيقة للنسب والسلالة، والشاعر الكبير عبدالله بن علي الخليلي ورث الشعر من شجرة السلالة التي ينتسب لها كابرًا عن كابر، فهو ينحدر من أسرة أدبية، أثرت المكتبة العمانية بنتاجها، فأبوه علي بن عبدالله شاعر، وجده عبدالله بن سعيد له ديوان شعري، بقيت منه قصائد متفرقة بعد أن ضاع في ظل ظروف غامضة، وعمه الأمام محمد بن عبدالله الخليلي معروف بنزوعه للشعر، وجده لأبيه العلامة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي، صاحب باع طويل في علوم اللغة، بلغ الذروة العليا والسنا الرفيع في الفقه والأدب، حتى أصبح مرجع العمانيين خلال النصف الأخير من القرن الثامن عشر الميلادي.

هذه هي شجرة النسب التي ينتمي إليها عبدالله الخليلي، موهبته الأصيلة نمت وترعرعت في هذه الأرض الخصبة، حتى أصبح ظاهرة لغوية، وهو شيخ القصيدة العمانية خلال النصف الأخير من القرن العشرين بلا منازع، وليس في هذا مبالغة أو إطرأ، قصيدته جامعة للطائفتين البلاغية بمعانيها، وتمتاز بانفراد لغوي وسحر بياني، من الإلهام المقذوف في لب الشاعر، والاستلهام الذي يوشى به قصيدته، عشقٌ يتجلى في لغةٍ ناصعة، ليس فيها حشو ولا مفردات ركيكة.

ومع هذه الملكة الشعرية الفذة، إلا أن الشاعر ظل مغيبا عن النقد، فلم تظهر إلا في شعره إلا دراسات معدودة، تعد يسيرة قياسا بشاعريته، وبتناجه الأدبي المتنوع، بين كتابته للقصيدة العمودية، وتجربته في كتابة قصيدة النثر، وكتابته للقصة القصيرة وفن المقامات والمقالات الأدبية.

لقد عرفت الشاعر الكبير عبدالله الخليلي عن قرب، وحسبي أنني أفخر بتلك المعزة التي يكنها لي، كان يعدني أحد أبنائه وكل الكتاب الشباب والشعراء هم أبنائه حقيقة، كنت أحد المقربين من الشيخ، وأحب شعره كثيرا، وقد قرأت في مطلع حياتي الأدبية ديوانه المعروف «وحي العبقرية».

ولا ريب أن الشاعر عبدالله الخليلي قامة شعرية عملاقة، تناول قامات أخرى عرفها الأدب العربي، من أمثال أحمد شوقي، وخليل مطران، وأمين نخلة، وبدوي الجبل وغيرهم، وكان يعجبه أن يُقرأ عليه شعره، واكتشفت بعد ذلك انه يحلو له تغيير كلمات قصائده حين تقرأ عليه، فكثيرا ما كنت أقرأ عليه في جلساتي معه خلال الفترة الصباحية، وأجد في ذلك سرورا بالغا، وكثيرا ما كان يخصني بقصائد جديدة لأنشرها له في جريدة عمان التي أعمل فيها، كنت أسعى اليه سعي الطالب للأستاذ، فأقرأ عليه قصائده، وقد يطلب مني الشاعر أن أتوقف، ليقوم في الحال بتصحيح الأبيات التي قرأتها عليه، بتغيير كلمة مكان غيرها، أو حذفها أحيانا، أو استبدالها بغيرها، كان يستهويه تبديل كلمة بأخرى، وقد يلغي البيت بكامله ويضيف عليه بيتا آخر، أو يبقي على الصدر، ليكتب عجزا جديدا ثم صدرا آخر لعجز ذلك البيت الذي أبقي منه صدره، فتأكدت أن القصيدة لديه لا تتوقف عن النمو، هي أشبه بحلقات لا تعرف لها نهاية، وتدفق جارف لكتابة قصيدة لا تنتهي مداراتها، وتوسل مستمر لا يعرف التوقف، حتى القصائد التي تضمنها ديوانه «وحي العبقرية» يحدث تغييرا في بعض قصائده، وحين ناقشته حول هذه المسألة أجابني قائلا: «إن الشاعر رب شعره وهو حر فيما كتب ويكتب، وإذا ما

أحدث الشاعر تغييرا في قصيدة كتبها منذ سنوات فذلك من شأنه هو»، وكشف لي ابنه أحمد أن ذلك شأن أبيه، ولذلك خصص له دفتر يكتب فيه ما يشاء من تغيير، من أجل أن يبقى على النص الأول، ومحاولة رصد طور القصيدة لديه، ومع ذلك كان الشاعر يبدي الرفض، فهو لا يحب أن يؤثر عنه من شعر، الا ما يستقر عليه وجدانه وما يقر عينه.

هذا دأب هذا الشاعر الكبير، حب جم للشعر، وإخلاص متناه، وعشق حقيقي للقصيدة، وقد يصل الليل بالنهار من أجل أن يكتب قصيدة تعبر عن مكونات وجدانه وخلجات فكره، لقد كشف أكثر من مرة أنه يعيش مع الشعر ليل نهار ولا يفارقه، حتى لربما يرى في منامه أنه ينظم أبياتا، وحين يصحو يتذكر بعضها ويثبتها في قصيدة جديدة، وقال لي أكثر من مرة: إنه حين يأتيه الإلهام فان نفسه تتصرف للكتابة بكليته، ولربما يكون نائما فيوقظه هاجس الشعر، لملاحقة ذلك التدفق الذي يأتيه من حيث لا يدري.

لقد مرت بالشاعر الكبير عبدالله الخليلي أحداث جسيمة، استطاع أن يسيطر عليها بالشعر، كان يجد في الشعر ملاذه من النوائب وبلسمه من المصائب، وما أجمل هذا الحامي الذي ينبض بالحياة، فمن يصدق أن هذا المشاعر قد توفاه الله في عام ٢٠٠٠م، والرصاصة لا تزال في أحشائه؟! هذه حقيقة لا يعلمها إلا المقربين منه، ففي عام ١٩٧٩م تعرض لمحاولة اغتيال، بأربع رصاصات مسدس، نفذت ثلاث من جسده، وبقيت واحدة مستقرة أعلى القلب في منطقة القفص الصدري، حيث تعذر انتزاعها من جسده، وبمرور السنوات سببت له مرض شلل الرعاش الذي عانى منه كثيرا، وبالأخص في السنوات العشر الأخيرة من حياته، حيث عاشها في كمد وكبد، لكنه كان يلجأ كثيرا الى التضرع إلى ربه بالشعر، والتوسل إليه أن يخفف عنه صعوبة ما يلاقى من ألم.

ذات مرة تجاسرت على الشاعر الخليلي فطلبت منه أن يكتب قصيدة في مدينة نزوى، فأنا أعلم أن هذه المدينة أثيرة في نفسه وعزيزة عليه، فهيجت مشاعره بكتابة رسالة، ذكرت فيها مكانة هذه المدينة في قلبه وقلب عمه الأمام، وحين سلمته إيها طلب مني مراجعته بعد أسبوع، فإذا به يكتب في حبها قصيدة، يقول في مطلعها:

هَلُمَّ إِلَى الْوَادِي الْمُقَدَّسِ مِنْ نَزْوَى
إِلَى أَنْ نَشُمَّ النُّورَ مِنْ هَضْبَةِ النَّجْوَى
لِنَرْتَبِعَ الْعَلِيَاءَ مِنْ شُرَفَاتِهِ
نَعِزُّ بِهَا قَدْرًا وَنَسْمُو بِهَا عُلوًا

وذات مرة قال لي بصوت حزين: «ثقلى بمرضي يحرمني لقاء أحبتي»، فأدركت ما فيه من حزن بالغ على عدم استطاعته لقاء الناس، وكنت من الحريصين على حضور مجلس عبدالله الخليلي، يوم الاثنين من كل أسبوع، يحضره رجال العلم والأدب وعشاق الشعر، من أمثال الأديب الفقيه سعيد بن خلف الخروصي، والأديب الشاعر سليمان بن خلف الخروصي، والنحوي الشاعر موسى بن عيسى البكري، والفقيه الأديب د ابراهيم الكندي، الذي كان يضيف عليه الشاعر الخليلي لقب (الصَّنَّاجَة)، وآخرون لا تحضرني أسماؤهم وكذلك أبنائهم أحمد وعبد الملك ومحمد، وبقي مجلس الاثنين متواصلًا لأكثر من ثلاث سنوات، وبمرور الأيام كان المرض يزحف بوحشية إلى جسده، وكانت قصيدته تقترب من المتجليات الصوفية والإشراقات الروحية، فلقد نضجت القصيدة على نار المعاناة، ونضج جسد الشاعر بنار المرض وأصبح لا يقوى على لقاء أصدقائه، فتقطع حضوره عن مجلسه، حتى انفض سامر مجلس الاثنين.

وفي سانحة منها الله عليّ، قادتني الأقدار الى منزل الشاعر بمدينة القرم في الأيام الأولى من شهر ديسمبر عام ١٩٩٨م، فلعل نسمة شفاء تكون قد هبت على الشاعر، فطرقت باب منزله، ودخلت مجلسه، وسألت عن صحة الشيخ، وقيل: لقد تعاطى الدواء قبل نصف ساعة فلعله يستطيع الكلام، لكنه لا يقوى على الحركة، قلت: أبلغوه مني السلام، وأود لقاءه إن كان في الإمكان، وبينما كنت أنتظر منه الرد، وأستعيد مع نفسي شريط لقاءاتي مع الشيخ الشاعر، اذا به يزحف الى مجلسه، متكئا على أكتاف أبنائه، ويستقر في ذات الكرسي الذي افتقده منذ زمن، وبعد حديث معه بحث لي برغبتي في محاورته، وإجراء لقاء صحفي معه، فقال: لك ذلك وأنا معك الى أن يثقل لساني، فأسرعت أسأله، وأملي عليه أسئلة عامة، بدأتها عن بداياته الأولى، لأختبر قدرته على التذكر، ويا للدهشة، لقد تذكر الشاعر الأبيات الأولى التي نظمها وهو في ريعان الشباب، وكانت في أحد أصدقائه، وظللت أسأله عن الشعر متى يكتب؟ وكيف تفاجئه القصيدة؟ وعن آرائه فيما كتب من شعر خلال نصف قرن من الزمان، وهو عمر تجربة الشاعر، وكان طيعا معي في إجابته، وقال: إنه كتب قصيدة بمناسبة تكريمه من قبل مهرجان الشعر العماني الأول، الذي أقيم خلال الفترة من ١٢ - ١٦ ديسمبر ١٩٩٨م، سماها (شبح الهوى) ويخص الملحق الثقافي بها لنشرها في يوم إلقيائها، وأنَّ الشاعر السمائي حبراس بن شبيب هو من سوف يقرأها على حضور المهرجان بالإنابة عنه، فملئت أوراق بحواري الصحفي معه، حتى شعرت أن لسانه بدأ يثقل، وعليّ أن أتوقف عن طرح الأسئلة، وكأنما حانت لحظة الوداع، وهي لحظة فاجعة، لقد أحسست أنني لن أقابل الشاعر عبدالله الخليلي بعد هذا اليوم، وبعد أن أنهيت حوارتي معه، عاد إلى غرفته، كما يعود الأسد الى عرينه، والناسك الى معتزله،

ولحظة توديعه استشعرت رهبة المصافحة الأخيرة، وبعد أسابيع قليلة، علمت أن الشاعر الكبير عبدالله الخليلي دخل في غيبوبة أبدية لم يفق بعدها، إذ استمرت أكثر من عام ونصف العام، نومة أشبه بنومة أهل الكهف، وصمت أشبه بصمت الصخور، حتى ودعت روحه الزكية دنيانا صباح الأحد الموافق ٢٨ ربيع الآخر ١٤٢٦هـ، الموافق ٣٠ يوليو ٢٠٠٠م، بعد حياة استمرت زهاء ثمانين عاما.

ولد الشيخ عبدالله بن علي بن عبدالله بن سعيد بن خلفان الخليلي في السابع من محرم عام ١٣٤٠هـ الموافق ١٩٢٠م، في منزل أسرته المسمى «بيت السَّبْحِية» بسمايل، إحدى ولايات محافظة الداخلية، كانت سمائل مسرح طفولته الغضة، ومرتع صباه الباكر، استوحى من خمائلها، واخضرار نخيلها، وتكاثر أشجارها، وتدفق فلج «السُمدي بين رياضها، فجاءت قصيدته ناعمة، ترفل في دمعس الكلام وحرير اللغة، وقصيدته السينية في وحي العبقريّة تكشف ذلك، فما أبلغ وصفه لتلك الخميّة السَّمائليّة في قصيدة لامية هذا بعض منها:

سَلامٌ على الفِحاءِ في عَبقريّها
طويلُ الخطا بين الظُّبى والنّوابل
سَلامٌ على الفِحاءِ والدُّهر جامدٌ
ومن لي في العُليا كفيحاً سَمائلٍ
كأنّ ترابَ العِزِّ فوقَ سَمائلٍ
مُتَوْنُ جِياذٍ تحَتَ كلُّ مُقاتِلٍ
كأنّ نباتَ المَجدِ فوقَ أديمِها
ثغور الأمانِ أو نواصِ الصَّواهِلِ
كأنّ خريزَ المَاءِ بين رياضِها
صَريزُ اليَراعِ أو صَليلاً القواصِلِ

كَأَنَّ لَذَاتِ النُّخْلِ فِي حُسْنِ نَظْمِهَا
صُفُوفُ رَجَالِ اللَّهِ عِنْدَ التَّنَازُلِ
كَأَنَّ الصَّبَا فِيهَا إِذَا مَا تَنَفَّسَتْ
شِفَاءَ النَّهْيِ أَوْ بَغِيَةَ الْمُتَفَائِلِ
كَأَنَّ أَرِيحَ الزُّهْرِ مِنْ فَوْقِ دَوْحِهَا
أَرِيحَ الْمُنَى جَاءَتْ بِنَصْرِ وَطَائِلِ
كَأَنَّ الشُّعَابَ الْمُسَبِّكَاتِ فَوْقَهَا
صَفَائِحُ تَبْرِ أَوْ صَحَائِفُ نَائِلِ
كَأَنَّ قَمِيصَ الضَّفَّتَيْنِ زَبْرَجِدٍ
وَبالشَّعْبِ مِنْ عَيْنِ السَّمَاءِ خَيْرُ سَائِلِ
كَأَنَّ ظَبَاهَا فِي الْخُمَائِلِ رَتَعَا
سِهَامُ الْقَضَا لَكِنْ عَلَى الْمُتَطَاوِلِ

كتب الشاعر عبدالله الخليلي في أغراض شعرية متنوعة، فهو عذري في شعر النسيب، وفنان تشكيلي في شعر الوصف، وزاهد في شعر التصوف، ومتعبد في محراب شعر السلوك، انه راهب سمائل الذي ملأ مغانيها وأفياءها وساحاتها وضواحيها شعرا عذبا فيه، من الشفافية والرقّة ما يتفطر له القلب، وقد كتب القصيدة بحبر المشاعر، وهو لا ينتمي إلى سلسلة النظامين، بل إلى سموط المبدعين، هو فنان ماهر في سبك اللغة، فحين تقرأ قصيدته للمرة الأولى، تشعر أن فيها سحرا، وأنها من لدن وحي العبقريّة، وأن هذا شعر الخليلي ضَرْبٌ من نبوءات الحكمة، التي هي ضالة المؤمن، وكتب الشاعر القصة الشعرية، لكنها لم تكن بحثا في التفاصيل التاريخية، بقدر ما كانت مفتاحا يلج من خلالها إلى عوالم جديدة، تكشفها العبقريّة في دروب الذاكرة ودهاليزها الخفية، مفضيا عليها فيضا من سحر البيان.

المصادر والمراجع

- الخروصي، سليمان بن خلف، تقديم في ديوان (بين الفقه والأدب)، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، ١٩٨٨.
- الخليلي، عبدالله بن علي ، ديوان (على ركاب الجمهور)، مطابع النهضة، مسقط ١٩٨٨.
- الخليلي، أحمد بن حمد، كلمة تقريض في ديوان (فارس الضاد، مخطوط).
- الخليلي، عبدالله بن علي ، ديوان وحي العبقريّة، ط٢، وزارة التراث القومي والثقافة، مطابع دار جريدة عمان للصحافة والنشر، مسقط، ١٩٩٠.
- الخليلي، سعود بن علي، كلمة تقريضية في ديوان (وحي العبقريّة)، ط٢، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط ١٩٩٠.
- الخليلي، عبدالله بن علي، مقامات الخليلي، مخطوطة.
- الخصيبي، محمد بن راشد بن عزيز، شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان، ج٢، ط٢، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط ١٩٨٩.
- درويش، د.أحمد ، الكلمة والمجهر، دراسات في نقد الشعر، دار الهاني للطباعة، القاهرة ١٩٩٣.
- درويش، د. أحمد، مدخل إلى دراسة الأدب العماني، دار الاسرة ١٩٩٢.
- درويش، د.أحمد، تجربة الشعر الحديث، دراسة تحليلية في ديوان (على ركاب الجمهور)، مطابع النهضة، مسقط ١٩٨٨.

- درويش، د. أحمد، مظاهر معاصرة الجيلين في شعر الشيخ عبدالله بن علي الخليلي، في حصاد أنشطة المنتدى الادبي، وزارة التراث القومي والثقافة ، مسقط ١٩٩٠.
- الرومي، د. نورية، قراءة اولية في مقامات عبدالله الخليلي في حصاد أنشطة المنتدى الأدبي، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط ١٩٩٠.
- الطاهر، د.أحمد مكي، المقامة والقصة في أدب الشيخ عبدالله الخليلي، في حصاد أنشطة المنتدى الادبي، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط ١٩٩٠.
- صليبا، د. جميل ، المعجم الفلسفي، ج (١، ٢)، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢.
- السيابي، أحمد بن سعود، مازن بن غضوبة السعدي، حياة من اجل الاسلام، مطبعة العنان.
- السيابي، سالم بن حمود، تعريف بصاحب الديوان في ديوان (وحي العبقريّة)، ط٢، وزارة التراث القومي والثقافة، مطابع دار جريدة عمان للصحافة والنشر، مسقط ١٩٩٠.
- الصقلاوي، سعيد، شعراء عمانيون، مطبعة النهضة ١٩٩٢.
- عبدالحليم، د. أبو همام عبداللطيف، في الشعر العماني المعاصر، مطبعة النهضة، القاهرة.
- غريب، جورج، الشعر الملحمي، تاريخه واعلامه، دار الثقافة ١٩٨٥.
- غريب، جورج، التصوف الاسلامي وأعلامه الكبار، دار الثقافة ١٩٩٥.
- القالي، أبو إسماعيل، الأمالي ، القاهرة ١٩٢٦.
- المعجم الوسيط، ج٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- مبارك، د. زكي، النثر الفني في القرن الرابع، دار الجيل، بيروت ١٩٧٥.

المحتوى

- ٣ - تصدير: أ. عبدالعزيز سعود البابطين
- ٥ - الإهداء
- ٧ - كلمات لا بدّ منها
- ٨ - بين يدي القارئ
- ١٠ - معالم من سيرة الشاعر
- ١١ - نشأته ومكانته
- ١٧ - الشاعر عبدالله بن علي الخليلى بعيونهم
- ٢٧ - المنجز الشعري والفكري للشيخ عبدالله الخليلى
- ٢٨ - الخاتمة

الفصل الأول: البيان الأدبي للشاعر الخليلى

- ٣٠ - مقدمة
- ٣١ - فلسفته
- ٣٣ - أدبه
- ٣٤ - النثر
- ٣٤ - المقامة النزوية
- ٣٤ - المقامة التساؤلية
- ٣٥ - المقامة اللغوية

٣٦	المقامة الجعلانية
٣٦	المقامة السمائية
٣٧	المقامة السمديّة
٣٩	الشعر
٤٠	الشعر الديني
٤٦	الشعر الغزلي
٤٩	الوطنيات
٥٤	الشعر التاريخي
٦٠	الشعر الحر (شعر التفعيلة)
٦٤	الخاتمة

الفصل الثاني: المختارات الشعرية

٦٨	تمهيد
٧٠	١ - الزوراء
٧٥	٢ - رياه
٨٠	٣ - الجلال
٨٣	٤ - الحمول
٨٧	٥ - العارية
٨٨	٦ - سل الحب

٨٩	٧ - عالم الخيال
٩١	٨ - طائر الشوق
٩٤	٩ - المطوق
٩٩	١٠ - إيمان الفاروق
١٠٤	١١ - النفور
١٠٩	١٢ - الجزر والمد
١١٢	١٣ - لفائف الحب
١١٤	١٤ - روعي
١١٦	١٥ - لن تراني
١٢٠	١٦ - طوى
١٢٥	١٧ - المصلى
١٢٩	١٧ - العراقيين
١٣٤	١٩ - عسعس الليل
١٣٦	٢٠ - فلسطين
١٣٩	٢١ - طائر الجمال
١٤٠	٢٢ - الحُسن
١٤٢	٢٣ - فلسفة الحياة
١٤٧	٢٤ - وصالها

الفصل الثالث: عبدالله الخليلي بأقلامهم

- تمهيد ١٥٠
- تكريم الشيخ الجليل عبدالله بن علي الخليلي، مهنا بن خلفان بن عثمان الخروصي ١٥٢
- عبدالله الخليلي.. شاعر عمان الأول، أحمد الفلاح ١٥٤
- الشيخ الشاعر عبدالله الخليلي، سالم بن محمد بن أحمد العبري ١٦٢
- شيخ البيان عبدالله الخليلي، د. سعيدة بنت خاطر الفارسي ١٦٧
- الاحتراف بعبدالله الخليلي، عبدالرزاق الربيعي ١٧٠
- حكايا الأستاذ والتلميذ، منى بنت حبراس السليمية ١٧٤
- عبدالله الخليلي في ميزان النقد والإبداع، ناصر أبوعون ١٧٨
- أول ما عرفت الشيخ عبدالله بن علي الخليلي، صالح بن علي بن سالم الحميدي ١٨٣
- عبدالله بن علي الخليلي.. شيخ القصيدة العمانية، محمد بن سليمان الحضرمي ١٨٧
- المصادر والمراجع ١٩٤
- المحتوى ١٩٦
